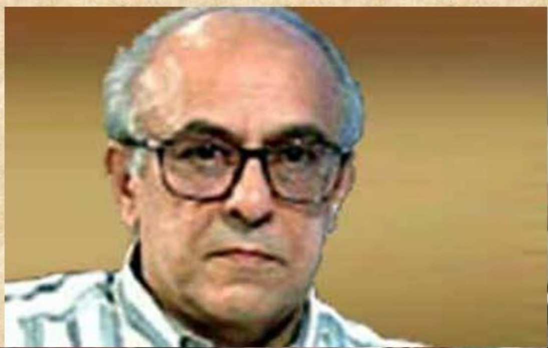
عرفت هؤلاء

"الغزالي وعمارة – عادل حسين – المسيري - جابر قميحة"









دكتور مجدي قرقر

عرفت هؤلاء

"الغزالي وعمارة – عادل حسين– عبد الوهاب المسيري – جابر قميحة"

دكتور مجدي قرقر

إبريل ٢٠٢٣

المحتويات

عرفت هؤلاء

مقدمة

كانت معرفتي بالأستاذ عادل حسين رئيس تحرير جريدة الشعب المصرية المعارضة وأمين عام حزب العمل المصري في بدايات عام ١٩٨٦ نقطة تحول في حياتي وكان عمري وقتها ثلاثة وثلاثون عاما. كنت لا أعرف سوى مساري الأكاديمي بين كتبي وأبحاثي وجامعتي فإذا به يأخذ بيدي إلى مسار جديد – مسار العمل العام – ليحقق حلما طالما حلمت به وأنا طالب في الجامعة، كيف يكون لي شرف المشاركة في النهوض بأمتنا لتعود لها ريادتها الحضارية، وكان عادل حسين دائم النصح حاول أن تحقق التوازن بين المسارين ولكن لا تنسى نصيب الأمة في ترتيب الأولويات، هناك الكثير من أساتذة الجامعات ولكن القليلون هم من يشاركون في محاولة النهوض بالأمة.

انخرطت في العمل الحزبي ولم أكن قد توليت أي موقع قيادي في حزب العمل فقضية المواقع لم تكن تشغل عادل حسين فالعبرة بالعمل ومن يؤدي، وفي عام ١٩٨٩ عهد الأستاذ عادل حسين لي بمسئولية تنظيم موسم ثقافي في مقر الحزب بمصر الجديدة، موسم ثقافي يشارك فيه النخبة السياسية والفكرية في مصر ويقرب الرؤى بين طرفي التحالف الإخوان والعمل وبينهم وبين التيار القومي، موسم ثقافي يعظم المشترك بين هذه التيارات ويبعد بها عن المناظرات والمنازلات وتسجيل الأهداف في مرمى الآخر، ويمتد الموسم لعامين أو ثلاثة، ويقدمني الأستاذ لرموز الفكر والسياسة في مصر عن طريق كارت الدعوة للموسم الثقافي حيث وضع اسمي مجاورا لاسمه كداعين للموسم في تواضع كبير منه، وتتعدد أنشطة المركز العربي الإسلامي للدراسات والذي أنشأ في نفس المقر ليكون بؤرة إشعاع فكري وثقافي.

ويعلمني الأستاذ عليك أن تبذر البذرة وتزرع وتحصد وتترك الحقل لآخرين لتبذر بذرة جديدة في مكان جديد، ويتعدد النشاط الثقافي في الحزب وبأشكاله المختلفة ويشارك الكثيرون من جيلي ومن الأجيال التالية. ويعلمني الأستاذ أن هذه الأنشطة يجب أن تصب في الرصيد الوطني والإسلامي لذا علينا أن نعظم العائد التنظيمي من المثقفين والشخصيات العامة بما يحقق صالح الحزب وصالح الأمة. ويعلمني الأستاذ، هذه الشخصيات العامة يجب أن نظل على تواصل معها ونحافظ على صداقتها بغض النظر عن انتماءاتها فهم رصيد وطني يتضامن معنا في كل المواقف التي تستدعي تكاتف القوى للذود عن أمتنا، ثم إن علينا أن نسعى إليها ولا ننتظر حتى تأتي لتشاركنا فعالياتنا، علينا أن نتواجد في المنتديات المختلفة وأن يكون حضورنا فاعلا في المناقشة والحوار، وأن يكون حوارنا موضوعيا ويسعى للتجميع لا التفريق بما يحقق صالح الأمة، وفي هذه المنتديات علينا أن نسلح أنفسنا بالقراءة.

وخرجت من هذه التجربة برصيد من المعارف والأصدقاء والشخصيات العامة تجاوزت المئات من كافة التيارات والانتماءات وفي كافة التخصصات داومت على صداقتها لما يزيد عن الثلث قرن وكان التيار الأقرب لي هو التيار الوطني الإسلامي المدافع عن الوطن وهويته المجدد لأمر الإسلام لما فيه خير البشر والدين والأوطان. لذا لم يكن غريبا أن أصدر كتابي هذا بهذه الشخصيات التي شرفت بمعرفة البعض منهم وصداقة البعض الآخر والذين يمثلون هذا التيار

الوطني الإسلامي: سادتي: فضيلة الشيخ محمد الغزالي، الدكتور محمد عمارة، الأستاذ عادل حسين، الدكتور عبد الوهاب المسيري، الدكتور جابر قميحة تغمدهم الله جميعا برحمته وتقبلهم قبولا حسنا وأسكنهم فسيح جناته وأثابهم الله خيرا إزاء ما قدموه لأمتهم ودينهم.

داعيا الله سبحانه أن يمكنني من إصدار جزء ثان من الكتاب أرد فيه فضلا لبعض من عرفتهم لتنتفع الأمة بسيرتهم ومنهجهم.

مجدي قرقر

القاهرة ٩ إبريل ٢٠٢٣



الغزالي وعمارة حرس الإسلام
المدافعون ودعاته المجددون

الغزالي وعمارة حرس الإسلام المدافعون ودعاته المجددون[١]

مع كل ثلاثاء كان فضيلة الشيخ محمد الغزالي يطل علينا من نافذته "هذا ديننا" في الصفحة الأخيرة لجريدة الشعب وفي يوم العشرين من شوال ١٤١٦ هـ الموافق للتاسع من مارس ١٩٩٦م توفي الشيخ في المملكة العربية السعودية أثناء مشاركته في مؤتمر حول "الإسلام وتحديات العصر" في الفعالية الثقافية السنوية المعروفة بالجنادرية ودفن بمقابر البقيع بالمدينة المنورة استجابة لأمنيته ووصيته بأن يدفن هناك.

وبعدها بأيام كان هناك مكالمة تليفونية بيني وبين فضيلة الدكتور محمد عمارة طلب مني فيها أن أبلغ الأستاذ عادل حسين رئيس تحرير جريدة الشعب برغبته في أن يكتب في نافذة الشيخ بجريدة الشعب، وبالطبع فإن الدكتور محمد عمارة لم يكن بحاجة لوساطة بينه وبين صديقه عادل حسين، ولكنه أراد أن يجنبه الحرج، وسعد عادل حسين برغبة الدكتور عمارة الذي كتب في نافذة الشيخ ولكن بعنوان جديد "هذا إسلامنا"

هذا المدخل يشير بصورة أو بأخرى لعمق التواصل بين الشيخين الغزالي وعمارة وأن محمد عمارة يعتبر نفسه امتدادا لمدرسة الغزالي الشيخ مؤكدا ذلك بقوله "أنا ثمرة لدعاء والدي وللشيخين الغزالي والشعراوي وكان الغزالي يدعو لي أن أكون من دعاة الإسلام وحارس لتعاليمه، بينما دعا لي الشعرواي في عزاء شيخ الأزهر الأسبق الشيخ جاد الحق قائلا: ربنا يجعل العوض فيك."[٢]

*****

١- النشأة

ولد محمد الغزالي في قرية نكلا العنب، إيتاي البارود، محافظة البحيرة بمصر في الثاني والعشرين من سبتمبر ١٩١٧ م. وأتم حفظ القرآن بكتّاب القرية في العاشرة، والتحق بعد ذلك بمعهد الإسكندرية الديني الابتدائي حتى حصل على شهادة الكفاءة ثم الشهادة الثانوية الأزهرية، ثم انتقل إلى القاهرة عام ١٩٣٧ م والتحق بكلية أصول الدين بالأزهر، وبدأت كتاباته في مجلة (الإخوان المسلمين) أثناء دراسته بالسنة الثالثة في الكلية، بعد تعرفه على الإمام حسن البنّا مؤسس الجماعة، وظل الإمام يشجعه على الكتابة حتى تخرّج بعد أربع سنوات في سنة ١٣٦٠ هـ - ١٩٤١ م - وتخصص بعدها في الدعوة والإرشاد حتى حصل على درجة العالمية سنة ١٣٦٢هـ - ١٩٤٣م وعمره ست وعشرون سنة، وبدأت بعدها رحلته في الدعوة من خلال مساجد القاهرة[٣].

في حين ولد محمد عمارة بريف مصر مركز قلين محافظة كفر الشيخ في الثامن من ديسمبر ١٩٣١ (بعد الشيخ بأربعة عشر عاما)، حفظ القرآن وجوده وهو في كتاب القرية. بدأت تتفتح وتنمو اهتماماته الوطنية والعربية وهو صغير. وكان أول مقال نشرته له صحيفة (مصر الفتاة)

---

١ دراسة كتبت في مايو ٢٠١١ ونشرت في كتاب "الدكتور محمد عمارة مفكر الوسطية والتجديد"، مركز الإعلام العربي

٢ إيمان عبد المنعم، "عمارة: نجاحي ثمرة دعاء الشعراوي والغزالي ..وهجوم الكنيسة زاد مبيعات كتبي ٧ أضعاف" ، الدستور - الأربعاء، ٣-١١-٢٠١٠

٣ موقع فضيلة الشيخ محمد الغزالي، http://www.alghazaly.org/index.php?id=8

بعنوان (جهاد عن فلسطين). وقد درس الليسانس في اللغة العربية والعلوم الإسلامية-كلية دار العلوم-جامعة القاهرة ١٩٦٥م.والماجستير في العلوم الإسلامية تخصص فلسفة إسلامية-كلية دار العلوم-جامعة القاهرة ١٩٧٠م و الدكتوراه في العلوم الإسلامية تخصص فلسفة إسلامية-كلية دار العلوم-جامعة القاهرة ١٩٧٥ وكان نشاطه السياسي سببا في تأخر تخرجي من الجامعة لمدة 6سنوات[٤].

أي أن الشيخين ولدا في الربع الأول والثلث الأول من القرن الماضي وفي ريف مصر وفي محافظتين ساحليتين متجاورتين وحفظا القرآن في كتاب القرية وكانت دراستهما الجامعية دراسة إسلامية في الأزهر الشريف وكلية دار العلوم وفي حين ارتبط الغزالي في شبابه بمدرسة الإخوان المسلمين الإسلامية بجذورها الوطنية فإن محمد عمارة ارتبط بمدرسة مصر الفتاة الوطنية بجذورها الإسلامية

*****

٢- الجذور الفكرية

وقد تلقى الشيخ الغزالي العلم عن الشيخ عبد العظيم الزرقاني، والشيخ محمود شلتوت، والشيخ محمد أبو زهرة والدكتور محمد يوسف موسى والشيخ محمد محمد المدني وغيرهم من علماء الأزهر.

ويذكر الشيخ محمد الغزالي في هذا المضمار: "حسن البنا أستاذي الأول في ميادين كثيرة وكنت – وأنا طالب – أستمع إلى محاضراته في القرآن الكريم وأتأمل معه النظرات التي كان يرسلها وكنت أعود إلى بيتي فألخص ما استطعت فهمه من هذه المحاضرات". ذات يوم في عام ١٩٤٥، كتب الشيخ محمد الغزالي مقالا وأرسله إلى مجلة الإخوان، فأُهمل المقال في البداية حتى اكتشفه المحرر الأستاذ صالح العشماوي فنشره كافتتاحية للعدد ولما قرأه الإمام حسن البنا كتب للغزالي رسالة يقول له: " أخي العزيز الشيخ محمد الغزالي : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته... وبعد، قرأت مقالك - الإخوان المسلمون والأحزاب - في العدد الأخير من مجلة الإخوان فطربت لعبارته الجزلة ومعانيه الدقيقة وأدبه العف الرصين. هكذا يجب أن تكتبوا أيها الإخوان المسلمون ..اكتب دائماً وروح القدس يؤيدك، والله معك، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.". ومن يومها أطلق الإمام حسن البنا على الشيخ الغزالي لقب "أديب الدعوة".

وإذا كان الدكتور محمد عمارة قد ارتبط في شبابه بالتيار الوطني ممثلا في مصر الفتاة والتيار اليساري فإنه ارتبط إسلاميا كباحث بمن حقق لهم، حيث حقق لأبرز أعلام اليقظة الفكرية الإسلامية الحديثة وارتبط بمدارسهم الفكرية: جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، وعبد الرحمن الكواكبي، وأعلام التجديد الإسلامي: الدكتور عبد الرزاق السنهوري باشا، والشيخ محمد الغزالي، ورشيد رضا، وخير الدين التونسي، وأبو الأعلى المودودي، وسيد قطب، وحسن البنا، وأعلام التراث: غيلان الدمشقي، والإمام الحسن البصري.

*****

٣- الجهاد الدعوي

بدأت رحلة الغزالي في الدعوة من خلال مساجد القاهرة عام ١٩٤٣ حتى استقر به المقام في أكبر مساجد القاهرة - مسجد عمرو بن العاص - وبعد خلافه المشتهر مع الرئيس السادات سافر إلى السعودية ثم إلى الجزائر سنة ١٩٨٤م للتدريس في جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بـ "قسنطينة" حتى تسعينات القرن العشرين. وفي هذا الإطار كُتبت عن الشيخ الغزالي

---

٤ الموقع الرسمي للدكتور محمد عمارة، http://www.dr-emara.com/

عدة أعمال وأطروحات جامعية، من بينها أطروحة "الشيخ محمد الغزالي مفكرا وداعية" للباحث الجزائري إبراهيم نويري، التي نوقشت بجامعة الأمير عبد القادر، سنة ١٩٩٩م.

وناقش الشيخ قضية الدعوة في العديد من كتبه " كيف تفهم الإسلام - هموم داعية - مشكلات في طريق الحياة الإسلامية - الإسلام المفترى عليه - في موكب الدعوة - الحق المر - قذائف الحق - كفاح دين - الدعوة الإسلامية".

يكتب الشيخ الغزالي في مقدمة كتابه "هموم داعية"[٥]: "قد أحزن عندما أبذل جهدي ثم لا أرى الثمرة المرتقبة، ومع ما يخامرني من ضيق فإن ضميري يكون مستريحا، وحسابي لنفسي لا يصاحبه ندم أو خزي ، وقد يجرى على لساني قول القائل: `صح منى العزم والدهر أبى` وحسبي ذلك تأساء وتعزية.. والأمر على العكس تماما عندما أفرط فأجنى الخسار ، وعندما أسيء البذر والحرث فأجد الحصاد الرديء فلا مكان هنا لاعتذار ، ولا تقبل المكابرة من مكابر..!! بهذا المنطق العادل أريد أن يحاسب المسلمون أنفسهم ، إنهم أمة دعوة عالمية ، فما الذي قدموه لهذه الدعوة على الصعيدين المحلى أو الدولي؟ ومحمد نبيهم رحمة للعالمين فما مجلي هذه الرحمة العامة فيما يسود العالم من أفكار وفلسفات ومذاهب.؟ ليس هناك جهد إسلامي واضح لخدمة الرسالة الخاتمة وتبصرة الناس لما فيها من حق وخير ، بل الذي يقع داخل الأرض الإسلامية يثير الريب حول القيمة الإنسانية لرسالة الإسلام ومدى انتفاع أهل الأرض منها ، وتلك مصيبة طامة ، أن يعمل الإنسان ضد نفسه وسمعته!! وسواء درى أم لم يدر فتلك نتيجة تسود لها الوجوه!.

ومن حقي وأنا أحد المشتغلين بالدعوة الإسلامية أن أصرخ بأشجاني وأن أبث همومي ، إنه هم ، وثان ، وثالث..!!

إن الدعاة العاملين في الميدان التقليدي يجب أن يغربلوا لنعدم السقط ، وننفى الغلط.. وفى هذا الكتاب نماذج محدودة لمثار الشكوى ، ومصدر الهم!! والله من وراء القصد"

امتدت حياة الشيخ الغزالي المباركة تسعا وسبعين عاما، وأمضى هذا العمر المديد في الدعوة إلى الإسلام، سواء في مجال الخطابة والوعظ، أو في مجال تأطير الشباب في المخيمات والمنتديات، أو في مجال الأحاديث الإذاعية والتلفزيونية، أو في مجال التدريس الجامعي والأكاديمي أو في مجال الكتابة والصحافة أو في مجال العمل الخيري والإغاثي .و في سبيل هذا الهدف جاب جميع أنحاء العالم، شرقا وغربا، شمالا وجنوبا[٦].

وفي حين ملأت الدعوة حياة الشيخ الغزالي مستخدما كل الوسائل المشار إليها في الفقرة السابقة وكانت الغلبة فيها لمنابر المساجد، فإن الدعوة أيضا ملأت حياة الدكتور عمارة وكانت الغلبة فيها لكتبه وكتاباته الصحفية وأحاديثه التلفزيونية. ومن بين ما يزيد على المائة وسبعين كتابا تعرض الدكتور عمارة لقضايا الدعوة في العديد من كتبه " فتنة التكفير - الصحوة الإسلامية و التحدي الحضاري - السماحة الإسلامية - شبهات حول الإسلام - الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان - الفارق بين الدعوة والتنصير - الطريق إلى اليقظة الإسلامية - الظاهرة الإسلامية - صيحة نذير من فتنة التكفير - السماحة الإسلامية... حقيقة الجهاد و القتال و الإرهاب - الإسلام في مواجهة التحديات"

*****

٥ محمد الغزالي، "هموم داعية"، ١٩٨٢ م

٦ إبراهيم بو غضن، "صفحات مشرقة من حياة الشيخ محمد الغزالي رحمة الله"، الملتقى، http://www.ikhwan.net

٤- المشروع الحضاري والفكري

كان الشيخ الغزالي أسداً مرابطاً على ثغور الفكر الإسلامي، حتى مثلت حياته حلقة قوية من حلقات الفكر الإسلامي الراشد وسلسلة متواصلة من المعارك الفكرية في سبيل نهضة العقل المسلم "إن الجهد الأول المطلوب هو تحريك قافلة الإسلام التي توقفت في وقت تقدمت حتى فيه عبيد البقر! وسوف تتلاشى التحديات التي تواجهنا يوم يعتنق المسلمون الإسلام: ويدخلون فيه أفواجا حكاماً وشعوباً "[٧].

يصفه الشيخ يوسف القرضاوي في كتابه الشيخ الغزالي كما عرفته فيقول:"إن هذا الرجل يبغض الظلم والهوان لنفسه وللناس، ولا يحب أن يظلِم أو يُظلم، ولا أن يستخف بكرامة أحد"[٨]. ففي مواجهة الاستبداد المالي والمظالم الاجتماعية خاض أول معاركه الفكرية فأصدر عدة مؤلفات كانت لبنه في مشروعه الحضاري."الإسلام والأوضاع الاقتصادية – الإسلام والأوضاع الاشتراكية – الإسلام المفترى عليه بين الشيوعيين والرأسماليين- الإسلام في مواجهة الزحف الأحمر".

وقد قدم في هذه الملحمة فكرا تنافسياً ثورياً" لقد رأيت بعد تجارب عدة أنني لا أستطيع أن أجد بين الطبقات البائسة الجو الملائم لغرس العقائد العظيمة، والأعمال الصالحة والأخلاق الفاضلة، إنه من العسير جدا أن تملأ قلب إنسان بالهدى إذا كانت معدته خالية، أو أن تكسوه بلباس التقوى إذا كانت معدته خاليه ولابد من التمهيد الاقتصادي الواسع والإصلاح العمراني الشامل إذا كنا مخلصين حقا في محاربة المعاصي والرذائل والمعاصي باسم الدين أو راغبين حقا في هداية الناس لرب العالمين[٩]"

ولأن الدكتور محمد عمارة اقترب في بداياته من اليسار وكابد في حياته وعانى من ضيق العيش عقابا له على موقفه السياسي فهو مع العدل الاجتماعي من المنظور الإسلامي وهو نفس الموقف الفكري الذي اتخذه الشيخ الغزالي في مواجهة الاستبداد المالي والمظالم الاجتماعية.

وينتمي الدكتور محمد عمارة المفكر إلى المدرسة الوسطية ويدعو إليها، فيقول عنها: "إنها الوسطية الجامعة التي تجمع بين عناصر الحق والعدل من الأقطاب المتقابلة فتكوّن موقفا جديدا مغايرا للقطبين المختلفين ولكن المغايرة ليست تامة، فالعقلانية الإسلامية تجمع بين العقل والنقل، والإيمان الإسلامي يجمع بين الإيمان بعالم الغيب والإيمان بعالم الشهادة، والوسطية الإسلامية تعني ضرورة وضوح الرؤية باعتبار ذلك خصيصة مهمة من خصائص الأمة الإسلامية والفكر الإسلامي، بل هي منظار للرؤية وبدونه لا يمكن أن نبصر حقيقة الإسلام،وكأنها العدسة اللامعة للنظام الإسلامي والفكرية الإسلامية.والفقه الإسلامي وتطبيقاته فقه وسطي يجمع بين الشرعية الثابتة والواقع المتغير أو يجمع بين فقه الأحكام وبين فقه الواقع، ومن هنا فإن الله جعل وسطيتنا جعلا إلهيا (جعلناكم أمة وسطا) سورة البقرة آية ١٤٣ "[١٠].

وعن منهج الوسطية قال الدكتور القرضاوي "الوسطية لا تكون إلا مجددة والتجديد لا يكون إلا من خلال الوسطية التي تجمع بين المتناقضات في اتساق وتوازن فهي تمزج بين الروح والمادة وبين الربانية والإنسانية وتصل السماء والأرض والمخلوق بالخالق " وأضاف: "ومن هذه الرؤية أنطلق عمارة فهو صاحب رؤية خاصة في تناول الفكر الإسلامي ونقله من الأسلوب أو الفقه الاعتذاري والتبريري وكأن الإسلام في قفص الاتهام ولكن عمارة حوله إلي فكر مواجهة

---

٧ محمد الغزالي، " أولويات الدعوة والدعاة"، http://www.alghazaly.org/index.php?id=151

٨ دكتور يوسف القرضاوي، " الشيخ الغزالي كما عرفته "

٩ يقظة الفكر، "الشيخ الغزالي"، http://feker.net/ar/

١٠ الموقع الرسمي للدكتور محمد عمارة، http://www.dr-emara.com/

الإسلام مع خصومه ـ وله الفضل في الوقوف للدفاع عن الصحوة الإسلامية وعن الشباب المتهمون بالتطرف"[١١].

وأهم ما يميز فكر الدكتور عمارة هو إيمانه ودفاعه عن وحدة الأمة الإسلامية، وتدعيم شرعيتها في مواجهة نفي البعض لها،حتى نعَت العلمانيون دكتور عمارة بأنه المنظِّر للحركة الإسلامية، ويقول هو ذلك شرف لا أدَّعيه وهم لا يقصدون منه المديح وإنما استعداء السلطات ضدي[١٢].

*****

٥- تجديد الفكر الإسلامي

في كتابه "الشيخ محمد الغزالي الموقع الفكري والمعارك الفكرية" كتب الدكتور محمد عمارة: "لقد أدركت ـ وأنا الذي سبق ودرست الآثار الفكرية لأكثر من ثلاثين من أعلام الفكر الإسلامي، وكتبت عنهم الكتب والدراسات ـ أدركت أنني حيال الشيخ الغزالي لست بإزاء مجرد داعية متميز، أو عالم من جيل الأساتذة العظام، أو مؤلف غزير الإنتاج، أو مفكر متعدد الاهتمامات، أو واحد من العاملين على تجديد فكر الإسلام لتتجدد به حياة المسلمين.. أدركت أنني بإزاء جميع ذلك، وأكثر منه وأهم"[١٣].

وفي هذا الإطار ألفت عن الشيخ الغزالي مؤلفات كثيرة أشهرها كتاب "مع الشيخ الغزالي ـ رحلة نصف قرن" للدكتور يوسف القرضاوي؛ وكتاب "الشيخ الغزالي ـ الموقع الفكري والمعارك الفكرية" للدكتور محمد عمارة.

ومن بين ما يزيد عن الخمسين كتابا كتب الشيخ الغزالي مجددا أمر هذا الدين ليكون بحق الدين الخاتم الصالح لكل زمان ومكان "السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث ـ فقه السيرة ـ كيف تفهم الإسلام ـ سر تأخر العرب والمسلمين ـ الإسلام المفترى عليه ـ الإسلام والمناهج الاشتراكية ـ الإسلام والأوضاع الاقتصادية ـ الإسلام والاستبداد السياسي ـ الإسلام والطاقات المعطلة ـ حقيقة القومية العربية ـ من هنا نعلم ـ الطريق من هنا ـ المحاور الخمسة للقرآن الكريم ـ المرأة في الإسلام ـ تأملات في الدين والحياة ـ تراثنا الفكري في ميزان الشرع ـ كيف نتعامل مع القرآن ـ الأسرة المسلمة وتحديات العصر ـ الرضاعة الثقافية للطفل المسلم "

وفي الذكرى الرابعة لوفاة الشيخ الغزالي وفي خطبة بعنوان "الشيخ الغزالي أحد المجددين لهذا الدين" قال الدكتور يوسف القرضاوي " كان الشيخ الغزالي رحمه الله إماماً من أئمة هذه الأمة، وكان أحد المجددين لهذا الإسلام في القرن الرابع عشر الهجري كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ـ إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها دينها ـ أنا من أنصار أن "من" في هذا الحديث للجمع وليس للمفرد، ـ من ـ تصلح للمفرد وتصلح للجمع ـ من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ـ فأعاد عليها الضمير بالجمع، ولذلك الذين يجدِّدون الدين هم جماعة، جماعات من الناس وليس فرداً واحداً ولا شك أن الشيخ الغزالي أحد هؤلاء الأفذاذ الذين أسهموا بجهد مشكور في خدمة الإسلام وتجديد الإسلام نسأل الله تبارك وتعالى أن يغفر للشيخ الغزالي ويرحمه ويتقبله في الصالحين، ويجزيه عما قدَّم لدينه ولأوطانه ولأمته خير ما يجزي به

---

١١ إيمان عبد المنعم، "عمارة: نجاحي ثمرة دعاء الشعراوي والغزالي ..وهجوم الكنيسة زاد مبيعات كتبي ٧ أضعاف" ، الدستور ـ الأربعاء،، ٣-١١-٢٠١٠

١٢ الموقع الرسمي للدكتور محمد عمارة، http://www.dr-emara.com

١٣ دكتور محمد عمارة، "الشيخ محمد الغزالي الموقع الفكري والمعارك الفكرية"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢.

العلماء العاملين والدعاة الصادقين، وأن يبوء أولئك المتطاولون المتبجحون بإثمهم ويجزيهم الله بما يستحقون اللهم آمين."[١٤]

وخلال احتفالية "الدكتور محمد عمارة ـ مفكر الوسطية والتجديد " التي أقيمت بنقابة الصحفيين ونظمها المركز العربي للإعلام مساء الثلاثاء ٢ نوفمبر ٢٠١٠ قال الدكتور يوسف القرضاوي "إن الدكتور محمد عمارة من مجددي هذا العصر ـ هذه المائة ـ مع إخوانه المجددين وهو من الذين هيئهم الله لنصرة الدين وتجدده على منهج الوسطية والتجديد." وأضاف "إني أرى أن المجددين جماعة قد يكونوا في بلاد متعددة أو في بلد واحد بعضهم فقيه وبعضهم مجاهد وبعضهم أصولي وربما يكون بعضهم قائد سياسي، لذلك أري أن التجديد مدرسة جماعية تعمل على تجديد الإسلام لذلك فالواجب أن يسأل كل واحد نفسه ما دوري في عملية التجديد؟ ولا ينتظر المجدد وأضاف القرضاوي بعض المفسرين يرون أن المجدد يبعث علي رأس المائة العام ولكن من أين تبدأ المائة هل من البعثة أم من الهجرة ـ وقال أن المجدد ليس مخترع لدين الجديد"[١٥]

وكما أشرنا فإن الإنتاج الفكري للدكتور محمد عمارة غزير حقق فيه لأبرز أعلام اليقظة الفكرية الإسلامية الحديثة وألف كتبا ودراسات عن أعلام التجديد الإسلامي كما كتب عن تيارات الفكر الإسلامي القديمة والحديثة وعن أعلام التراث من مثل غيلان الدمشقي، والإمام الحسن البصري.، ولقد حاولت هنا أن أستعرض بعض كتب الدكتور عمارة التي تتناول قضايا تجديد الفكر الإسلامي فطالت القائمة ولم أستطع أن استبعد من إنتاجه الفكري إلا النذر اليسير فالطابع الفكري هو الغالب على إنتاج الدكتور عمارة وغير ذلك هو الاستثناء.

ولقد أسهم الدكتور محمد عمارة في العديد من الدوريات الفكرية المتخصصة، وشارك في العديد من الندوات والمؤتمرات العلمية، ونال عضوية عدد من المؤسسات الفكرية والبحثية منها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، والمعهد العالي للفكر الإسلامي. وقد اتسمت كتابات الدكتور عمارة وأبحاثه التي أثرى بها المكتبة العربية بوجهات نظر تجديدية وإحيائية، والإسهام في المشكلات الفكرية، ومحاولة تقديم مشروع حضاري نهضوي للأمة العربية والإسلامية في المرحلة التي تعيش فيها

*****

٦- المناهضون للتشدد والغلو في الدين

ويكمل الدكتور يوسف القرضاوي وصف الشيخ الغزالي فيقول:"إن هذا الرجل لا يطيق العوج ولا الانحراف، وخصوصا إذا لُبس لبوس الاستقامة أو تستر بزى الدين، فهو الذي يقاتله سراً وعلانية، فإذا رأى ظلماً أو عوجاً –في رأي نفسه على الأقل – لم يستطع أن يغلق فمه أو أن يغمض قلمه بل صب عليه جام غضبه ولم يحفل بما يصيبه من شرر الصدام، ولكن يكمل هذا أن الشيخ لا يفجر في خصومته، ولا يفترى على خصمه ولا يتمنى له السوء، وهو رضي الله عنه سريع الغضب سريع الفيء ولا يبالى أن يعترف بخطأه أمام الناس، فهو شجاع عندما يهاجم ما يعتقد انه خطأ، شجاع حينما يعترف أنه لم يحالفه الصواب فيما رآه[١٦]"

وكانت معركة الغزالي أيضا مع الجمود والحرفية النصوصية التي تغض من شأن ملكة العقل فتفل عزم المسلمين في مواجهة التحديات المعاصرة وتكرّس التخلف الموروث "إن بعض البله يتصور الأنبياء أبواقاً لأمين الوحي يرددون ما يلقيه إليهم فإذا انصرف عنهم هبطوا لمستوى

---

١٤ دكتور يوسف القرضاوي في الذكرى الرابعة لوفاة الشيخ الغزالي، جزء من خطبة بعنوان (الشيخ الغزالي أحد المجددين لهذا الدين)

١٥ إيمان عبد المنعم، "عمارة: نجاحي ثمرة دعاء الشعراوي والغزالي ..وهجوم الكنيسة زاد مبيعات كتبي ٧ أضعاف" ، الدستور ـ الأربعاء،، ٣-١١-٢٠١٠

١٦ دكتور يوسف القرضاوي، " الشيخ الغزالي كما عرفته "

الدهماء وخبا نورهم!! أيّ غفلة صغيرة في هذا التصور" لقد كان الفقهاء على امتداد تاريخنا العلمي هم القادة الموثقون للأمة الذين أسلمت لهم زمامها عن رضا وطمأنينة وقنع أهل الحديث بما يتناقلون من آثار.. فلا فقه بغير سنّة ولا سنّة بغير فقه والواقع أن كلا الفريقين يحتاج إلى الآخر"[١٧]

ويتصدى الدكتور محمد عمارة للمتشددين والمغالين في الدين في كتبه " فتنة التكفير - الغناء و الموسيقى حلال أم حرام - السلفية - فصل المقال لابن رشد تحقيق - عروبة مصر وأقباطها - التحرير الإسلامي للمرأة - التيار القومي الإسلامي - الإسلام والعروبة - الإسلام والأقليات - الإسلام والأخر - جمال الدين الأفغاني موقظ الشرق وفيلسوف الإسلام - المعتزلة والثورة - المعتزلة و مشكله الحرية الإنسانية - الإسلام و الفنون الجميلة - الدراما التاريخية وتحديات الواقع المعاصر - النص الإسلامي بين التاريخية والاجتهاد والجمود - في التحرير الإسلامي للمرأة - الإبداع الفكري والخصوصية الحضارية - الشيخ عبد الرحمن الكواكبي هل كان علمانيا - قاسم أمين.. تحرير المرأة والتمدن الإسلامي - الإسلام والتعددية - السلف والسلفية - الإسلام والمرأة - صيحة نذير من فتنة التكفير - شبهات وإجابات حول مكانة المرأة في الإسلام - مقالات الغلو الديني واللاديني "

*****

٧- الغزالي وعمارة حرس الإسلام المدافعين عنه

كان الشيخ محمد الغزالي نموذجًا فريدًا من العلماء المجددين الذين يحملون هموم الأمة والواعين بأبعاد الحرب المعلنة تاريخيًا ضد الإسلام وأمته وحضارته ، فكان مدركًا لخطر الأمراض الداخلية التي تفترس الأمة حتى مثلت حياته مشروعًا فكريًا ومعركة فكرية امتدت لأكثر من خمسين عامًا وهو يخوض في غمار هموم الأمة وقضاياها[١٨]. ولقد تصدى في كتاباته للعالمانيين وللغرب فكان من كتبه " معركة المصحف - الإسلام المفترى عليه - الإسلام والمناهج الاشتراكية - الإسلام والأوضاع الاقتصادية - الاستعمار أحقاد وأطماع - حقيقة القومية العربية - الحق المر - قذائف الحق - كفاح دين - من هنا نعلم - صيحة التحذير من دعاة التنصير - ظلام من الغرب"

ولقد اعتبر الغزالي الكاتب المصري فرج فودة" كافرا ومرتدا"، كما كان وراء الدفاع الذي وقف مع قاتليه قائلا، "أنهم أدوا الفريضة"، حيث أضاف "..إن فرج فودة كافر مرتدٌ وأنّ من قتله يعتبر مفتئتاً على السلطان" أي لا توجب له عقوبة حسب تفسيره[١٩] .وفي شهادة الشيخ محمد الغزالي في أثناء محاكمة القاتل أفتى بجواز "أن يقوم أفراد الأمة بإقامة الحدود عند تعطيلها.وإن كان هذا افتئاتا على حق السلطة،..ولكن ليس عليه عقوبة، وهذا يعني أنه لا يجوز قتل من قتل فرج فودة "حسب تعبيره[٢٠].

ولم تكن وفاة الشيخ الغزالي رحمه الله كغيرها من الميتات بل كانت صورة معبرة عن حياة حافلة بالمعارك في خدمة هذا الدين، فقد لقي الشيخ ربه وهو في الميدان الذي قضى فيه عمره كله – حيث كان في مؤتمر للدعوة الإسلامية بالرياض، وأحتد النقاش في مسألة متعلقة بالعقيدة فانبرى الشيخ موضحًا ومعلمًا فأصيب بأزمة قلبية تُوفي على أثرها – رحمه الله- في (١٩ من شوال ١٢٧٠هـ = ٩ من مارس ١٩٩٦م)، ودُفِن بالبقيع في المدينة المنورة رحم الله الشيخ رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته مع المقربين الأبرار.

---

١٧ محمد عباس عرابي، "دراسات في فكر الغزالي"، http://www.alfisal.com/vb/showthread.php?t=24500

١٨ موقع طلاب الأزهر، " الأزهر تاريخ وأعلام - الشيخ محمد الغزالي "، http://www.azharway.com/

١٩ عبد الله بن بجاد العتيبي، "فتوى القتل: انج سعدٌ فقد هلك سعيد" - العربية نت - ١٦ سبتمبر 2008

٢٠ إسلام أون لاين، "الغزالي.. قلب رقيق ولسان بالحق طليق"

ولقد اعتبر الدكتور يوسف القرضاوي رئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين أن الدكتور محمد عمارة المفكر الإسلامي المدافع الأول عن الإسلام في هذا العصر وقال "اعتبر عمارة بعد الشيخ محمد الغزالي هو المدافع الأول عن الإسلام ضد خصومه في الوقت الراهن فهو الذي يحمل سلاح الدفاع عن أصول الشريعة وعن الأمة وعنده من الأسلحة ما يمكنه من مواجهة تلك الخصوم من خلال المعرفة العلمية والقراءة الخاصة."

وقال "عمارة من الرجال الذين اختارهم الله لنصرة هذا الدين وهو من الطائفة المنصورة الذين قال عنهم رسول الله لا تزال طائفة من أمتي قائمة علي الحق، وانتقد القرضاوي تجاهل الإسلاميين لتكريم علماء ومفكري الإسلام وقال " نحن الإسلاميين من أقل الناس تقديرا لعلمائنا ومفكرينا وهذه حقيقة أقولها بصراحة ولا ننوه بعضنا بعض بالشكل الكافي ولا يقتبس بعضنا من بعض على غرار الاشتراكين والماركسيين الذين يضخم بعضهم بعضا ويزين بعضهم بعضا. واستمر في نقد تقصير الإسلاميين في التعامل مع علمائهم قائلا " كما أننا كثيرا لا نتحدث عن علمائنا إلا بعد فراقهم ولكن واجب أن نكرم العظماء وخدام الدين في حياتهم"[٢١]

كما أن الدكتور محمد عمارة تصدى في كتاباته للعالمانيين وللغرب نذكر هنا بعضا منها بما تسمح به مساحة الدراسة، فمن كتبه " نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم - معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام - في المسألة القبطية حقائق و أوهام - الغزو الفكري - الغرب والإسلام - الصحوة الإسلامية في عيون غربية - الشريعة الإسلامية و العلمانية الغربية - ألدوله الإسلامية بين العلمانية والدولة الدينية - الجديد في المخطط الغربي - سقوط الغلو العلماني - التفسير الماركسي للإسلام - حقائق الإسلام في مواجهة المشككين - الإسلام بين التنوير والتزوير - إستراتيجية التنصير في العالم الإسلامي - الإسلام والغرب افتراءات لها تاريخ - شبهات حول الإسلام - الفارق بين الدعوة والتنصير - علمانية المدفع والإنجيل - الانتماء الحضاري للغرب أم للإسلام - العلمانية بين الغرب والإسلام - رفع الملام عن شيخ الإسلام ابن تيمية - مقالات الغلو الديني و اللاديني - الإسلام و السياسة .. الرد على شبهات العلمانيين - أكذوبة الاضطهاد الديني في مصر ".

ورغم أن العالمنيين يدعون أنهم حماة الأقباط المسيحيين في مصر فإن تصدي الدكتور عمارة وكشف زيفهم زاد مبيعات كتبه كما يقول " وهجوم الكنيسة زاد مبيعات كتبي سبعة أضعاف"[٢٢]

*****

٨- التصدي للاستبداد السياسي

كانت إحدى المعارك التي خاضها الشيخ الغزالي والتي مثلت معلماً بارزاً من معالم مشروعه، معركته في مواجهة الاستبداد السياسي الذي حرم الأمة من ثمرات الشورى الإسلامية فأعجزها عن مواجهة تبعات رسالتها ومجابهة تحديات أعدائها فقدم في هذا الميدان عدة إصدارات كان منها الإسلام والاستبداد السياسي – حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة.

في مقال للدكتور وصفي عاشور أبو زيد - إبان اندلاع الثورات العربية ضد الطغاة عام ٢٠١١ - وتحت عنوان " محمد الغزالي وحديثه عن الثورات في ذكراه الخامسة عشر" استشهد ببعض كتابات الشيخ الغزالي ضد الاستبداد السياسي[٢٣]

---

٢١ إيمان عبد المنعم، "عمارة: نجاحي ثمرة دعاء الشعراوي والغزالي ..وهجوم الكنيسة زاد مبيعات كتبي ٧ أضعاف" ، الدستور - الأربعاء،، ٣-١١-٢٠١٠

٢٢ إيمان عبد المنعم، المرجع السابق

٢٣ دكتور وصفي عاشور أبو زيد، موقع حزب العمل المصري، http://www.el-3amal.com/news/news.php?i=34073

يرى الشيخ الغزالي أن أسباب الثورات هي: شيوع الظلم، ومصادرة الحريات، وسلب ضرورات الجماهير، ومن أسبابها أيضا شيوع حكم الفرد، يقول: "ونحب أن نقول بجلاء: إنه حيث يسود الحكم المطلق تنتقض الإنسانية من أطرافها، بل من صميمها"[٢٤]

عندما حاول الرئيس جمال عبد الناصر أن يمحو من الدستور كون مصر دولة إسلامية وقف هو (الشيخ الغزالي) والشيخ أبو زهرة رحمهما الله كأسدين هصورين ضد هذا الخَبَل، وكان لهما ما أرادا؛ مِنْ أن تظل مصر دولة إسلامية[٢٥] .

وفي موقفه من جمال عبد الناصر يتعجب الشيخ من هذا الرجل؛ فقد كان مِمَّن انتسب إلى الإخوان، وكان معاشرا للشيخ وإخوانه، لكن طرأ عليه ما لم يعرفه الشيخ[٢٦]

ومن المواقف الجهادية للشيخ الغزالي حين طرح عبد الناصر الميثاق الوطني فقام الشيخ معترضا على الجانب العلماني واليساري منه، فانبرى الرسام الكاريكاتيري الذي يقال إنه شيوعي "صلاح جاهين"، ورسم نصف صفحة في جريدة الأهرام، ساخرا من الشيخ وعمامته، وهنا خرجت الجماهير الغفيرة المسلمة غاضبة، وقامت بتحطيم واجهة مبنى جريدة الأهرام، واضطرت الجريدة إلى تقديم اعتذار، كما قدم الرسام اعتذاره بتدخل من الدولة خوفا على حياته من غضب المسلمين [٢٧].

وفي عهد الرئيس السادات أراد تغيير قوانين الأحوال الشخصية، والافتئات على حقوق الرجل الشرعية، وتقييد تعدد الزوجات، فقام الشيخ يخطب منددًا بهذا المشروع، وقامت الجماهير بمظاهرات تطالب بإلغاء هذا القانون، وقد كان لهم ما أرادوا[٢٨].

ومن جهاد الشيخ ما لاقاه من اضطهاد وعنت، بل وحبس وتعذيب، فقد اعتقل الشيخ في زمن حكومة إبراهيم عبد الهادي باشا، ومكث في سجن الطور سنة، وكان سجنه قبل الثورة وبعدها، وقد حكي ما حدث له تفصيلا في المعتقل[٢٩]

أما عن الدكتور عمارة فيقول "كان نشاطي السياسي سببا في تأخر تخرجي من الجامعة لمدة ست سنوات ورغم تخرجي من كلية دار علوم إلا أن الحكومة رفضت تعيني في أي من مجال بالثقافة ولو مصحح لغوي في أحد المطابع وتم تعييني في إحدى المجمعات الاستهلاكية ورغم ذلك قررت التحدي بالمثابرة والاجتهاد، ورغم فقري عزفت عن العمل بالجامعات النفطية وذلك من اجل الفكر، فطموحاتي المادية بسيطة وزوجتي صالحة تدبر أمور المنزل لذلك قال لي صلاح عبد الصبور ذات مرة "المرتب اللي بتحصل عليه هو مرتب الساعي المفترض أن يقف علي بابك"[٣٠].

ويقول عمارة معاشي الآن يعادل الحد الأدنى للأجور الذي حكمت به المحكمة مؤخرا - عام ٢٠١٠ - ولكن الله يبارك لي فيها، لم أكن أدعو الله بالغني ولكن كنت ادعوه باليسر.

*****

---

٢٤ من مقالات الشيخ محمد الغزالي: ٦٦/١.

٢٥ مسعود صبري، " الغزالي.. قلب رقيق ولسان بالحق طليق"، موقع فضيلة الشيخ محمد الغزالي - أبحاث ومقالات، http://www.alghazaly.org/index.php?id=29

٢٦ محمد الغزالي، قذائف الحق، ص: ١٤٠-١٤١

٢٧ مسعود صبري، مرجع سابق

٢٨ دكتور عبد الحليم عويس، "الشيخ محمد الغزالي، تاريخه وجهوده وآراؤه"، ص: ٩، وانظر: "العطاء الفكري للشيخ محمد الغزالي"، ص: ١٩١-١٩٢

٢٩ محمد الغزالي، قذائف الحق، ص: ٩٨-١٠٨

٣٠ إيمان عبد المنعم، مرجع سابق

الخلاصة

نخلص في النهاية إلى أن هناك أوجه كثيرة للتشابه بين الشيخين الجليلين محمد الغزالي ومحمد عمارة وإن لم يمنع هذا التشابه تمايز كل منهما عن الآخر في بعض من هذه الأوجه.

يتشابهان في ظروف النشأة الريفية وحفظ القرآن الكريم والدراسة الشرعية، ويتشابهان في مشروعهما الحضاري والفكري، وفي تجديد الفكر الإسلامي، وفي مناهضة التشدد والغلو في الدين، والتصدي للاستبداد السياسي، كما أن كليهما في مقدمة صفوف حرس الإسلام المدافعين عنه.

وقد يظن البعض أن هناك اختلافا في الجذور الفكرية بين الشيخين من حيث انتماء الغزالي لمدرسة الإخوان المسلمين وانتماء عمارة لمدرسة مصر الفتاة ثم اليسار الوطني إلا أن مدرسة مصر الفتاة تمتد إلى مصطفى كامل وعبد الله النديم وتنتهي بجمال الدين الأفغاني ونفس الحال بالنسبة لمدرسة الإخوان المسلمين التي تمتد إلى محمد رشيد رضا ومحمد عبده وتنتهي بجمال الدين الأفغاني وكلنا يعرف ارتباط مدرسة الأفغاني بالوطنية والإسلام، أي أن مساحة المشترك كبيرة بين المدرستين إن لم يكونا مدرسة واحدة خاصة مع ارتباط الدكتور عمارة إسلاميا كباحث بمن حقق لهم

وإذا كان الشيخ الغزالي قد تميز بجهاده الدعوي من فوق منابر المساجد فإن محمد عمارة كان له نصيب في مجال الدعوة وإن اختلفت الوسائل بممارسته للدعوة من خلال أجهزة الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة.

والمشروع الح[٣١]ضاري والفكري للشيخين مشروع واحد مرابطً على ثغور الفكر الإسلامي في مواجهة أعداء الإسلام في الداخل من العالمانيين وأعداء الخارج من المستشرقين وقوى الاستكبار العالمي بل وفي مواجهة أبناء الإسلام في سبيل نهضة العقل المسلم.

وإن كان البعد الغالب عند الدكتور عمارة في مجال تجديد الفكر الإسلامي فإن الشيخ الغزالي بشهادة الدكتور عمارة ليس مجرد داعية متميز، أو عالم من جيل الأساتذة العظام، أو مؤلف غزير الإنتاج، أو مفكر متعدد الاهتمامات، أو واحد من العاملين على تجديد فكر الإسلام لتتجدد به حياة المسلمين بل إنه جميع ذلك، وأكثر منه وأهم وبشهادة الدكتور يوسف القرضاوي " كان الشيخ الغزالي رحمه الله إماماً من أئمة هذه الأمة، وكان أحد المجددين لهذا الإسلام في القرن الرابع عشر الهجري.

ولأن الشيخ الغزالي غلب عليه طابع الداعية فإن معاركه ضد الاستبداد السياسي ارتبطت بالشارع وبالواقع وبمواجهة الحكام مباشرة بينما اتسمت معارك الدكتور عمارة بالبعد الفكري الذي يؤصل لمواجهة الاستبداد في حالته المجردة والنظرية بغض النظر عن المكان أو الزمان، ونحن بحاجة إلى النموذجين النموذج النظري الذي يؤصل والنموذج العملي الذي يمكن استدعاؤه بعد أن حفظه التاريخ وسجله.

رحم الله شيخنا الغزالي رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته مع الأنبياء والصديقين والشهداء إزاء ما قدم لمصر وللأمة وللإسلام، وحفظ الله شيخنا الدكتور محمد عمارة ومتعه وأهله بالصحة والعافية وجعل سائر عمله خالصا لوجهه وفي ميزان حسناته.

شيخان أعزهما الله بالإسلام وأعز الإسلام بهما.

*****

****

1دراسة كتبت في مايو ٢٠١١ ونشرت في كتاب "الدكتور محمد عمارة مفكر الوسطية والتجديد"، مركز الإعلام العربي
2إيمان عبد المنعم، "عمارة: نجاحي ثمرة دعاء الشعراوي والغزالي ..وهجوم الكنيسة زاد مبيعات كتبي ٧ أضعاف" ، الدستور - الأربعاء،، ٣-١١-٢٠١٠
3موقع فضيلة الشيخ محمد الغزالي، http://www.alghazaly.org/index.php?id=8
4الموقع الرسمي للدكتور محمد عمارة، /http://www.dr-emara.com
5محمد الغزالي، "هموم داعية"، ١٩٨٢ م
6إبراهيم بو غضن، "صفحات مشرقة من حياة الشيخ محمد الغزالي رحمة الله"، الملتقى، http://www.ikhwan.net
7محمد الغزالي، " أولويات الدعوة والدعاة"، http://www.alghazaly.org/index.php?id=151
8دكتور يوسف القرضاوي، " الشيخ الغزالي كما عرفته"
9يقظة الفكر، "الشيخ الغزالي"، /http://feker.net/ar
10الموقع الرسمي للدكتور محمد عمارة، /http://www.dr-emara.com
11إيمان عبد المنعم، "عمارة: نجاحي ثمرة دعاء الشعراوي والغزالي ..وهجوم الكنيسة زاد مبيعات كتبي ٧ أضعاف" ، الدستور - الأربعاء،، ٣-١١-٢٠١٠
12الموقع الرسمي للدكتور محمد عمارة، http://www.dr-emara.com
13دكتور محمد عمارة، "الشيخ محمد الغزالي الموقع الفكري والمعارك الفكرية"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢.
14دكتور يوسف القرضاوي في الذكرى الرابعة لوفاة الشيخ الغزالي، جزء من خطبة بعنوان) الشيخ الغزالي أحد المجددين لهذا الدين(
15إيمان عبد المنعم، "عمارة: نجاحي ثمرة دعاء الشعراوي والغزالي ..وهجوم الكنيسة زاد مبيعات كتبي ٧ أضعاف" ، الدستور - الأربعاء،، ٣-١١-٢٠١٠
16دكتور يوسف القرضاوي، " الشيخ الغزالي كما عرفته"
17محمد عباس عرابي، "دراسات في فكر الغزالي"، http://www.alfisal.com/vb/showthread.php?t=24500
18موقع طلاب الأزهر، " الأزهر تاريخ وأعلام - الشيخ محمد الغزالي" ، /http://www.azharway.com
19عبد الله بن بجاد العتيبي، "فتوى القتل: انج سعدٌ فقد هلك سعيد" - العربية نت - ١٦ سبتمبر٢٠٠٨
20إسلام أون لاين، "الغزالي.. قلب رقيق ولسان بالحق طليق"
21إيمان عبد المنعم، "عمارة: نجاحي ثمرة دعاء الشعراوي والغزالي ..وهجوم الكنيسة زاد مبيعات كتبي ٧ أضعاف" ، الدستور - الأربعاء،، ٣-١١-٢٠١٠
22إيمان عبد المنعم، المرجع السابق
23دكتور وصفي عاشور أبو زيد، موقع حزب العمل المصري، http://www.el-3amal.com/news/news.php?i=34073
24من مقالات الشيخ محمد الغزالي: ٦٦/١.
25مسعود صبري، " الغزالي.. قلب رقيق ولسان بالحق طليق"، موقع فضيلة الشيخ محمد الغزالي - أبحاث ومقالات، http://www.alghazaly.org/index.php?id=29
26محمد الغزالي، قذائف الحق، ص: ١٤٠-١٤١
27مسعود صبري، مرجع سابق
28دكتور عبد الحليم عويس، "الشيخ محمد الغزالي، تاريخه وجهوده وآراؤه"، ص: ٩، وانظر: "العطاء الفكري للشيخ محمد الغزالي"، ص: ١٩١-١٩٢
29محمد الغزالي، قذائف الحق، ص: ٩٨-١٠٨
30إيمان عبد المنعم، مرجع سابق



عادل حسين

١ ـ عادل حسين الإنسان ـالقائد ــالمعطاء ــ القدوة

٢ـ عادل حسين قلم الله المسنون

٣ـ عادل حسين ــ باعث الأمل في زمن الانبطاح
٤ ـ عادل حسين مكتشف القيادات وصانعها

٥ ــ المواجهة حول الاعتدال والتطرف في الإسلام ــ بين د. رفعت السعيد و عادل حسين ــ تعليق مجدي قرقر
٦ـ عادل حسين وكتابي "كفر البلاص"
٧ ــ عادل حسين الذي اعتقد بفاعلية المثال: بقلم عبد الوهاب المسيري

١ - عادل حسين الإنسان -القائد -المعطاء - القدوة

دكتور مجدي قرقر

الثلاثاء ٢٧ فبراير، اللقاء الأخير، في رحلة العودة يشرفني بصحبتي في سيارتي المتواضعة مع الصديق العزيز طلعت رميح، يودعنا طلعت أولا ويصر الأستاذ أن ينزل معه ليستدعي تاكسي حتى لا يؤخرني عن العودة، ننجح في إثنائه عن ذلك، اللقاء لم ينته بعد، كم من الأعمال كنا ننجزه في السيارة؟، يراجع معي خطة العمل في إجازة عيد الأضحى، أرجو أن تعد لزيارة أبو المعالي فائق إذا خرج من سجنه قبل سفري في الإجازة، وأيضا علينا أن نرتب لزيارة المستشار يحيى الرفاعي للاطمئنان على صحته بعد عودتي، يسافر خارج القاهرة قبل أن يخرج أبو المعالي، أتصل به في العيد مهنئا.

= لماذا لم تنتظر يا رجل قليلا؟، كنت بصدد الاتصال بك

- ولماذا تحرمني هذا الشرف؟

= ولماذا تستأثر بالفضل وحدك؟

- لأن هذا حق الكبير بيننا

= كل عام وأنت والأسرة بخير

- والأمة جميعا بخير

= ما هي أخبار أبو المعالي؟

- خرج والحمد لله

= أعطني تليفونه لأتصل به مؤقتا، ولا تتأخر في زيارته على أن أزوره أنا بعد عودتي

هذا جانب من المحادثة نقلته لنرى كيف كان البعد الإنساني ينبض في كل كلماته؟ الجمعة ٢ مارس، انتهت إجازة عيد الأضحى المبارك وانفض أكبر مؤتمر عالمي بالدعاء على جبل عرفات بأن ينصر الأمة ويدحر حلف الشيطان، الهاتف ينقل لي مرض الأستاذ عادل حسين، لم يحتمل الرجل كل هذا العنت، ارتفاع في ضغط الدم، نزيف في المخ، يرقد الآن في العناية المركزة في مستشفى عسكري بالإسكندرية، الزيارة غير مسموح بها، يمكن رؤيته عبر مونيتور، مساء السبت ٣ مارس، أطمئن عليه من الأستاذ عبد الحميد بركات الذي عاد لتوه من زيارته، يعبر عن قلقه، عليك أن تسرع بزيارته، أعجل بالزيارة صباح الأحد، تصحبني زوجتي في سيارتي وأنا في طريقي لمحطة السكة الحديد، صوت القرآن الكريم ينبعث من مذياع السيارة، أنشغل عنه بالتفكير في أمر الأستاذ. ٠ "أتى أمر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون " – النحل ١ – تفطن زوجتي لمعنى الآية ولا تخبرني، لقد قضى الله أمره فلا راد لقضائه، وأنا لله وأنا إليه راجعون، أنزل في طنطا محطة الوسط تنفيذا لوصية الأستاذ بزيارة الزميل والصديق المجاهد أبو المعالي فائق الذي خرج لتوه من السجن بعد ستة أشهر قضاها رهن الاعتقال في إطار استعدادات الحكومة لانتخابات مجلس الشعب الماضية، يصر أبو المعالي أن يصحبني للإسكندرية لزيارة الأستاذ، نمر على الدكتور محمد عباس قبل السفر، كونسلتو خاص يرتب له الدكتور عباس للاطمئنان على حالة الأستاذ عادل، يحاول أن يطمأنا ولكن ماذا بيدنا بعد أن أتى أمر الله؟، في

المستشفى أرى الفارس وقد ترجل على فراشه الأخير، ما أقساها من لحظات، أحاول أن أكتم مشاعري أمام أسرته ولكن دون جدوى.

هذا هو عادل حسين الإنسان، على رأس جدول الأعمال دائما قضية المعتقلين، كيف تنامون وإخوانكم رهن السجن أو الاعتقال؟، هل تتابعون أخبار أسرهم؟ وهل تقومون ببعض التزاماتهم؟، وصديقنا المريض هل قمتم بزيارته؟، وذاك الذي انقطعت أخباره هل قمتم بالاتصال به؟ في وفاة والدي – رحمه الله – منذ شهور تكبد مشقة السفر من القاهرة إلى "ميت غمر" وجاء للعزاء يصحبه ما يزيد على الخمسين من الزملاء مما أقلق مضاجع الأمن رغم أن المناسبة مناسبة عزاء، لم يكن يجاريه ويفذه في أداء هذه الواجبات إلا أستاذنا الكبير المجاهد إبراهيم شكري، وكان الشأن نفسه في وفاة الزميل أحمد سليمان رحمه الله.

رحمه الله، كان لا يضن بالوقت أو الصبر ليستمع إلى مشاكل الزملاء الخاصة، يسدي النصح، لا يفرض رأي، ولا يتأخر عن بذل الجهد والمال إذا دعت الضرورة.

كثيرا ما كان ينفعل في لقائه معنا، وربما يحتد، ولكن أبدا لم يكن ليغضب أحدا، لأن غضبه كان في الله وللمصلحة العامة وليس لغرض شخصي أو دنيوي، والغريب في الأمر أنه ما ينتهي الاجتماع، أو حتى قبل أن ينتهي، يطيب خاطر من احتد معه ويبرر انفعاله ويعتذر عنه، ربما يختلف الزملاء ويحكمونه في الخلاف بينهم فكان يتحرى الحق والعدل ويكون بجانبه، ولكنه كان دائما يدعو إلى الصفح والعفو، فالعدل وإن كان قيمة عالية فإن العفو والإحسان قيمة أسمى، ذلك هو عادل حسين الإنسان الجميل كما تقول الدكتورة سهام هاشم.

*****

عادل حسين، القائد

في قيادته للحزب وفي اجتماعاتنا معه تعلمنا كيف يكون التنظيم وكيف تدار الاجتماعات، كيف نعمل الشورى؟، وكيف تلتزم الأقلية برأي الأغلبية حتى وإن كان هو في جانب الأقلية، كثيرا ما كان يعرض الموضوع بوجهة نظر معينة ثم يفعل الحوار حوله وكثيرا ما ينتهي الرأي إلى تصور مخالف لرؤيته الأولى ولا يجد حرجا في ذلك، ولكن هذا لا ينفي بالقطع أنه كان شخصية كاريزمية ذكية، قوي الحجة.

ميزة أهم في عادل حسين، يعرف قدر الرجال، ويعرف إمكانات من هو أمامه ويوظفها في مكانها الصحيحة، نسيج وحده في هذا الاتجاه ولا يتصور أحد أن كل ما قام به عادل حسين في الخمسة عشر عاما الماضية وحرك به الماء الآسن قد تم بمساعدة حفنة قليلة من الرجال، إنه حسن توظيف الكفاءات إضافة إلى الاستقامة والإخلاص، وفي إدارته وقيادته كان يحسن ترتيب الأولويات :

- يجب ألا نغرق في التشخيص والتحليل وننسى الخطوات العملية في الحركة.
- وحتى في مجال الخطوات العملية يجب ألا يأخذ التفكير والتخطيط وإبداع المقترحات وصياغتها جل وقتنا فهذا هو الجزء الأسهل، الأهم من يقوم على تنفيذها، من يضع الجرس في عنق القط؟ هذه هي المهمة الأصعب.

- قبل أن نطرح الاقتراحات فلنفكر في طريقة التنفيذ وإلا تحولنا إلى مجموعة من "الأفنديات ".
- علينا أن نسرع بالتنفيذ حتى وإن أخطأنا، ثمانون في المائة من العمل أفضل من تضييع الوقت في تحسين الخطط ثم لا يتم تنفيذه، أو يمضي الوقت المحدد للتنفيذ فيضيع كل الجهد هباء، " على بال ما تتكحل العمشاء " – " بعد العيد ما يتفتلش كعك " كما يقولون.
- يجب أن يكون لدينا الشجاعة في أن ندفع بأعضاء جدد إلى موقع القيادة، أن نكتسب قيادتين جديدتين بأداء ٦٠ % لكل منهما ويتزايد مع الزمن أفضل من أدائك وحدك والذي لن يتجاوز التسعين في المائة، علينا أن نبذر البذرة ونزرع ونحصد ونترك الحقل لقيادات جديدة لنبذر بذرة جديدة في مكان جديد.
- ما لا يدرك كله لا يترك جله.
- المعلومة بقدرها وفي توقيتها.
- على المستوى الشخصي لابد من إعادة ترتيب الأولويات بشكل صحيح بما يحقق مصلحة الأمة فهذا هو الأساس، ويجب ألا تضيع حياتنا هباء.
- في المسائل المصيرية الألوان أبيض وأسود، وبالتالي فقد كان عادل حسين في هذه المسائل الثائر الصامد القوي الذي لا يعرف معنى التنازلات، أما مادون ذلك، فبين الأبيض والأسود توجد درجات الرمادي وليس سياسيا من لا يعرف الألوان الرمادية التي تأخذ الأفضل من كل رأي حتى وإن كان التباين كبيرا لأن الرؤية الصحيحة رؤية وسط وهي بطبيعتها رؤية مركبة وتحتاج إلى جهد كبير للخروج بالرأي التوفيقي الذي يأخذ بكافة المزايا، وفرق كبير بالطبع بين التوفيق والتلفيق، لأن عقلية مثل عادل حسين لم تكن لتعرف التلفيق.
- نجاح العمل يبدأ بتسجيلنا للقرارات حتى يمكننا متابعتها.

وفي الاجتماعات كنا نصر أن يكون تعقيبه هو التعقيب الأخير حتى لا نتأثر بوجهة نظره وهو يملك قوة المنطق وحجة الإقناع كما أنه كان أفضل من يضع يده على ما يفيد من رؤى الآخرين ويبلور كل هذا في رؤية متسقة وقوية.

ورغم تسجيل القرارات فإن عادل حسين القائد كان يملك ذاكرة حديدية وكثيرا ما كانت تصيب ذاكرته ويخطأ التسجيل المكتوب، لأن المكتوب أحيانا لم يكن ليلتزم الدقة.

هذه المدرسة التي كونها عادل حسين هي التي تشع في مؤسسات حزب العمل الآن، ومن هنا كان عادل حسين القائد والكاريزما، فالشخصية الكاريزمية في تعريفها ليست في ذاتها فقط بل فيما تخلفه من رجال ورؤى وأفكار بعد رحيلها.

*****

عادل حسين، الثري والمعطاء

يقول الكاتب الكبير محمد سيد أحمد، كان عادل أكثر الناس ثراء لأنه أعطى وأعطى ولم يأخذ أبدا وكابد هموم عصره بكل عمق واختار لنفسه الموقع الصعب والتضحية من أجل هذا الوطن.

لقد بذل عادل حسي نفسه في سبيل وطنه وأمته وتعرض للموت مرات ومرات حتى كان استشهاده دون حقه وحزبه وجريدته، فهل يضن بالجهد والوقت والمال بعد أن بذل نفسه رخيصة في سبيل الله؟، رحمك الله يا أستاذ مع النبيين والصديقين والشهداء.

يشير الدكتور محمد عباس في مقال له إلى عادل حسين الذي حصل على سيارة مرسيدس هدية من أحد الرؤساء العرب مثله مثل بقية رؤساء تحرير الصحف القومية والحزبية، وبينما استمتع الجميع بسياراتهم المهداة فإن عادل حسين لم يضع قدمه بها، وإن شئنا الدقة فإنه لم يرها وتم بيعها للخروج بالحزب من أزمة مالية ألمت به وقتها، ويذكر الدكتور عباس بمكافئة نهاية الخدمة التي حصل عليها عادل حسين من جريدة الأخبار فإذا بها يقتسمها نصفين بين أبنائه صحفيي جريدة الشعب وابنته في الدم " سلمى " ليجهز به عرسها.

ولأنني شغلت موقع أمين صندوق حزب العمل لفترة طويلة في ظل توليه مسئولية أمانة الحزب أضيف :، في أحد الأيام حرر لي شيكا على حسابه الشخصي بمبلغ ألفين من الجنيهات تبرعا للحزب، وإذا به يعتذر لي ستذهب إلى البنك وربما لن تجد رصيدا فلا تقلق، انتظر يومان أو ثلاث حتى يتم تحصيل معاشي وتتمكن من الصرف، هل من مزيد، في عام ١٩٩٥ سرقت منه عضوية مجلس الشعب عن دائرة مصر الجديدة ومدينة نصر وحكم بأحقيته في عضوية البرلمان ورفع قضية تعويض فحكم له بخمسين ألف جنيه ونصحه المحامي بالاستئناف فحكم له بمائة وخمسين ألف جنيه وبعد استقطاع أتعاب المحامي قام بالتبرع بكل المبلغ للحزب والجريدة، هل من مزيد؟، لقد قالها محمد سيد أحمد، عادل حسين لم يعرف سوى العطاء، كان يمكن أن تدنو الدنيا منه كما دنت ممن هم أقل منه ذكاء وخبرة وكفاءة من أصحاب الملايين والمليارات، ولكن عادل حسين ابتغى الآخرة وابتغى نهضة الأمة وابتغى وجه الله فمثله لا تعرف الدنيا عليه سلطان، ليس سرا كما أشار تلميذه الأستاذ أحمد مصطفى – الإعلامي المرموق حاليا في الإذاعة البريطانية – ليس سرا، أننا كنا نبحث في الأسبوع الذي مرض فيه الأستاذ مرضه الأخير، كنا نبحث مع بعض رموز مصر الوطنية إمكانية علاجه على نفقة الدولة تحسبا لطول فترة العلاج وعدم تمكن أسرته الصغيرة من تغطية نفقات العلاج، وبالفعل استجابت وزارتي الدفاع والصحة لأنها تعرف قدر الرجل وقيمته حتى وإن كان في صفوف المعارضة، هذا ما تركه عادل حسين لزوجته الفاضلة دكتورة ناهد يوسف ولابنته سلمى وابنه خالد، ترك لهم ذكرى وطنية عطرة وعلم ينتفع به، ترك لهم حب مصر وحب أمته العربية والإسلامية والذي تجلى في أسمى صوره في جنازته وصلوات الغائب وحفلات التأبين التي نظمت له في طول البلاد وعرضها وعلى امتداد عالمنا العربي والإسلامي وفي قارات الدنيا الست، ولتهنأ الدكتورة ناهد فإن العمر الذي بذلته مع عادل حسين لم يضع هباء فلقد لعب عادل حسين الدور الأكبر في سنواته الأخيرة حتى تسترد الأمة عافيتها في مواجهة أحفاد القردة والخنازير.

*****

عادل حسين القدوة

لم يكن عادل حسين مجرد قائد ومفكر وإنسان بل كان نموذج للإيمان والعمل بما يؤمن به يتقدم الصفوف يبذل الجهد والعمل والمال، يتقدم الصفوف لا يخشى في الله لومة لائم، لا يمنعه عنت يواجهه أو سجن يودع به ففي التسعينات وبعد أن تجاوز الستين زج به في السجن مرتين

مرة مع راهب الوطنية المصرية دكتور محمد حلمي مراد في سجن مصر الجديدة ومعهما الزميلان الصحفيان صلاح بديوي وعلي القماش، وفي المرة الثانية كانت قضية المظروف الذي نسبوه له ليغيبوه في السجن شهرا ونصف الشهر، يومها قامت مصر ولم تقعد بمفكريها وسياسيها ممن يتفقون معه وممن يختلفون ولم تهدأ مصر إلا بعد الإفراج عنه.

لا أجد أجمل من كلمات المجاهدة الفاضلة الدكتورة نجلاء القليوبي لأختم به مقالي، ورغم أن الدكتورة نجلاء لا تقرظ الشعر إلا أن هول الموقف أنطقها نثرا لا يدانيه شعر، فلا شيء يجعلنا عظماء غير ألم عظيم، تقول، "علمتنا كيف نحمل أكفاننا ونسير في الحياة مجاهدين، وعندما حانت ساعة الرحيل حملت كفنك وكنت أول الراحلين، لتعلمنا كيف هو الموت الجميل، أن نموت صامدين أن نموت مناضلين، أن نرفض الموت مهانين أو مذلولين، أستاذي الجليل كيف جعلت الموت فن أصيل؟"

على درب خالد رضي اللّه عنه

٢- عادل حسين قلم اللّه المسنون

دكتور مجدي قرقر

٥ إبريل ٢٠٠١

ليست مقابلة بين المجاهد عادل حسين وخالد ين الوليد رضي الله عنه ولكنه تلمس لخطى خالد على دربه، وإن لم يحرم الإسلام المقابلة فإن الأدب مع صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم هو الذي يمنعنا، يقول رسولنا الكريم مخاطبا أصحابه رضي الله عنهم فيما معناه، (طوبى لأحبابي، فيرد الصحابة، أو لسنا أحبابك يا رسول الله ؟، ويكررها الرسول صلعم ثلاثا ويكررها الصحابة، فيجيب الرسول، بل أنتم أصحابي، وإنما أحبابي اللذين آمنوا بي ولم يروني ولم يرو الوحي يتنزل علي والرجل منهم بمائة رجل وفي رواية بألف)، وهذا ما قاله خالد أيضا رضي الله عنه، يشير خالد محمد خالد في كتابه الرائع (رجال حول الرسول) إلى معركة اليرموك، ففي فترة من فترات الراحة بين القتال يدعو أحد قادة الروم خالدا محاورا، ويحاوره خالد فيكاد أن يسلم فيحاول أن يطمئن فيسأل:

= هل لمن يدخل في الإسلام اليوم مثل ما لكم من المثوبة والأجر؟

* يجيب خالد: نعم وأفضل

= كيف وقد سبقتموه ؟

* يجيب خالد: لقد عشنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأينا آياته ومعجزاته وحق لمن رأى ما رأينا وسمع ما سمعنا أن يسلم في يسر، أما أنتم يا من لم تروه ولم تسمعوه ثم آمنتم بالغيب فإن أجركم أجزل وأكبر إذا صدقتم الله سرائركم ونواياكم

= يصيح القائد الروماني: علمني الإسلام يا خالد

ويسلم الرجل ويصلي ركعتين – لم يصل سواهما – ويستأنف القتال في صفوف المسلمين ويظفر بالشهادة

*****

رحلة التحول

يخلو خالد إلى نفسه، يدير خواطره الرشيدة حول الدين الجديد، تلمع في فؤاده الذكي بشائر اليقين (والله لقد استقام المنسم – خف البعير - وإن الرجل لرسول فحتى متى ؟!، أذهب والله فأسلم) ويستكمل خالد حديثه حول مسيرته المباركة من مكة إلى المدينة ليعلن إسلامه – لا ليعلن الحرب كما كان من قبل – (وددت لو من أصاحب، فلقيت عثمان بن طلحة، فذكرت له الذي

أريد فأسرع الإجابة، وفي الطريق التقينا بعمرو بن العاص الذي كان في طريقه أيضا ليسلم، فاصطحبنا حتى قدمنا المدينة أول يوم من صفر سنة ثمان من الهجرة)

هكذا أسلم خالد، وهكذا أسلم عادل حسين بعد أن عرف الله وهو يصوغ مؤلفه الجامع والمرجع (الاقتصاد المصري من الاستقلال إلى التبعية)٠٠ وهكذا صحبه صاحباه المستشار طارق البشري والدكتور محمد عمارة، أعزهم الله بالإسلام وأعز الإسلام بهم، وفي أحد المؤتمرات كان بجانبي واحد من أكبر رموز الفكر الماركسي في مصر وكان الدكتور عبد الوهاب المسيري على المنصة متحدثا وإذا بالرجل لا يستطيع أن يتحكم في مشاعره فيخاطبني (لقد انضم إليكم كإسلاميين خيرة من رموز الفكر الماركسي في مصر)

يستكمل خالد رضي الله عنه (فلما اطلعت على رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمت عليه بالنبوة فرد علي السلام بوجه طلق، فأسلمت وشهدت شهادة الحق، فقال الرسول: قد كنت أرى لك عقلا رجوت ألا يسلمك إلا إلى خير)

وكان لعادل حسين عقلا لم يسلمه إلا لهذا الخير، لم يكن التحول سهلا كما كان يقول عادل حسين بل كان فيه معاناة ومكابدة استمرت لسنوات حتى عرف الله فأعانه وأعزه بالإسلام، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام، هكذا كان خالد وعمر وعمرو، وهكذا كان عادل وعمارة وطارق، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام، ولو كنت مستجاب الدعوة لدعوت لأحد خيار الماركسيين في مصر وأنبلهم أن يعزه بالإسلام حتى وإن تقدم به العمر، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام، تقول الدكتورة ناهد يوسف زوجة المجاهد: على المستوى الإنساني والأخلاقي لم يتغير عادل حسين بالإسلام نفس الخلق ونفس السمو ولكن زاده الإسلام وضوحا ورسوخا في الرؤية.

ويستكمل خالد ويسأل الرسول صلعم ويجيبه ويرجوه فيدعو له (إن الإسلام يجب ما قبله.٠ اللهم اغفر لخالد بن الوليد كل ما أوضع فيه من صد عن سبيلك).٠وبدورنا ندعو لأستاذنا بأن يغفر له ما تقدم من ذنبه قبل معرفة الله وما تأخر منه.

نعود إلى قائد الروم الذي أشرنا إليه آنفا والذي بهرته مهارة خالد وفروسيته وإقدامه، ويبحث عن تفسير فلا يجد، فيسأل خالد في فترة الراحة بين القتال التي أشرنا إليها:

- يا خالد، أصدقني ولا تكذب فإن الحر لا يكذب، هل أنزل الله على نبيكم سيفا من السماء فأعطاك إياه فلا تسله على أحد إلا هزمته؟

* يجيب خالد: لا....

- فبم سميت سيف الله؟

* يجيب خالد: إن الله بعث فينا رسوله فمنا من صدقه ومنا من كذب وكنت فيمن كذب حتى أخذ الله قلوبنا إلى الإسلام وهدانا برسوله فبايعناه فدعا لي وقال: أنت سيف من سيوف الله، فهكذا سميت سيف الله.

وكما كان خالد سيفا من سيوف الله ضد طواغيت الكفر كان عادل حسين قلما مسنونا ضد قوى البغي والشرك والعدوان، كان قلما واعيا ضد العلمانيين والملحدين بعد أن خرج منهم وسبر غورهم وفطن إلى سحرهم، ودخل عادل حسين عالمه الجديد من أوسع أبوابه وفي مقدمة الصفوف كما كان في الماركسية، وحسن إسلام الرجل وكانت آخر معاركه ضد الفحش والإلحاد

في إصدارات وزارة الثقافة، كانت آخر معاركه وفي موقع القيادة رافعا راية لا إله إلا الله مستنهضا الأمة لتغضب في الله، وراجعته (ربما تستغل هذه المعركة لضرب الحزب والجريدة ومشروعك الحضاري) وأجابني (حاش لله أن يمنعني ذلك عن خوض المعركة، إذا صمتنا فسينزلون الشارع ليسبوا الله جهارا نهارا فلا كانت الأمة ولا كان هذا المشروع)

*****

الثبات مفتاح النصر

أعز الله خالد بالنصر على الفرس في العراق وسار بجيشه الظافر كالسكين في الزبد الطري، وعلى الجانب المقابل سير الصديق خليفة رسول الله الجيوش إلى الشام وعلى رأسها خيرة القادة من صحابة رسول الله صلعم وإذا بالروم يجيشون مائتين وأربعين ألف مقاتل، وتأتي الأخبار أبا بكر فيعلنها (والله لأشفين وساوسهم بخالد) ومهما كان بأس الروم فقد قالها أبو بكر رضي الله عنه (خالد لها) وامتثل خالد لأمر القيادة واندفع بفريق مختار من جيشه مؤازرا جيش المسلمين في الشام ومتوليا زمام القيادة، وكان خالد يتمثل عبقرية النصر في الثبات، وكان يرى أن أي حركة هروب يقوم بها اثنان أو ثلاثة يمكن أن تشيع في الجيش من الهلع والتمزق ما لا يقدر عليه جيش العدو بأسره، وفي تلك الموقعة بالذات – موقعة اليرموك – وبعد أن أخذ الجيش مواقعه سلم نساء المسلمين سيوفا - ولأول مرة – وأمرهن بالوقوف وراء صفوف المسلمين وكلفهن بالمهمة (من يولي هاربا، فاقتلنه)، ويالها من مهمة لعبت دورها في ثبات الجيش وتحقيق النصر.

وفي أزمة حزب العمل الأخيرة كانت دعوة عادل حسين (الثبات، الثبات، هذا هو النصر)، وتلك هي سنة النصر التي صورها سبحانه في سورة آل عمران (وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين°١٤٦ وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين°١٤٧ فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين°١٤٨ يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين°١٤٩ بل الله مولاكم وهو خير الناصرين°١٥٠ سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين°١٥١)، وفي تلك الأزمة كان عادل حسين أسدا جسورا وفارسا مغوارا، رفض قبول الدنية، رفض التنازل عن مبادئنا، رفض أي تدخل في الهياكل التنظيمية للحزب أو الجريدة، كانت دعوته الدائمة أن نثبت وبالثبات سيكون النصر.

*****

ألا هبي ريح الجنة، فمن يبايع على الموت

وقبل القتال يواجه خالد قائد الروم في الفراغ الفاصل بين الجيشين، ويعرض قائد الروم الصفيق صفقته على خالد، (قد علمنا أنه لم يخرجكم من بلادكم إلا الجهد والجوع، فإن شئتم أعطيت كل واحد منكم عشرة دنانير وكسوة وطعاما، وترجعون إلى بلادكم، وفي العام القادم أبعث إليكم بمثلها)، ويكظم خالد غيظه وقد أدرك ما في كلمات قائد الروم من سوء أدب ويرد عليه بعزة

المسلم بما يناسب الصفيق (إنه لم يخرجنا من بلادنا الجوع كما ذكرت، ولكننا قوم نشرب الدماء وقد علمنا أنه لا دم أشهى ولا أطيب من دم الروم فجئنا لذلك)

وكان هذا موقف عادل حسين، كانت الصفقة، تنحية عادل حسين عن موقعه وتشكيل لجنة قيادية جديدة للحزب تضم الخبيث إلى الطيب وتضم الزبد إلى ما ينفع الناس على أن تقوم هذه اللجنة " البزرميط " بإعادة تشكيل الحزب بما يخدم مصالح الحلف الصهيوني الأمريكي، كل هذا في مقابل إنهاء أزمة حزب العمل وجريدة الشعب، بئس الصفقة، وهل سيكون حزبا بعد إن ضيعناه وضيعنا جهاده ومعاركه، ولم يمنعنا تقديرنا لرئيس الحزب الأستاذ إبراهيم شكري في مراجعته وإعادة النظر فيما كاد أن يقبله، ونزل الرجل على رأي الجماعة وكانت هذه عظمة الشورى التي حافظت على بناء الحزب وعلى مبادئ عادل حسين وعلى تاريخ المجاهد إبراهيم شكري.

ويرفع خالد اللواء عاليا مؤذنا (الله أكبر، الله أكبر، هبي رياح الجنة)، وتثقل وطأة الروم على المسلمين ويرتفع صوت عكرمة بن أبي جهل، أجل عكرمة بن أبي جهل الذي أعزه الله بالإسلام (من يبايع على الموت، لطالما قاتلت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يهديني الله إلى الإسلام، أفأفر من أعداء الله اليوم ؟، من يبايع على الموت)

ويموت البطل خالد على فراشه وهو يرتاح من معركة استعدادا لمعركة أخرى ينصر الله فيها، ولكن أليس شهيدا من مات وما في جسده موضع إلا وفيه ضربة سيف أو طعنة رمح أو رمية سهم، يستشهد خالد سيف الله المسلول وقد خلف تركة، فرسه وسلاحه !!، ونعم التركة.

ويستشهد عادل حسين على فراشه، يستشهد وقد نذر حياته لوطنه وأمته ودينه، يستشهد وقد وهب عقله وقلبه وقلمه المسنون لله، على درب خالد سار مجاهدا بسلاحه الذي مكنه الله منه ـ قلمه المسنون ـ ضد أعداء الله والوطن، ضد الحلف الصهيوني الأمريكي في الداخل والخارج، رحمه الله رحمة واسعة وتقبله قبول حسن مع الأنبياء والصديقين والشهداء.

(الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم إليه صراطا مستقيما) ١٧٥ النساء

٥ إبريل ٢٠٠١

٣ - عادل حسين – باعث الأمل في زمن الانبطاح

دكتور مجدي قرقر

٤ مايو ٢٠٠١ م

"أتى أمر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون " - النحل ١ – قضى الله أمره فلا راد لقضائه، وأنا لله وأنا إليه راجعون.

في معركة الأمة أكرم الله أستاذنا عادل حسين بالشهادة ولم يمهله قدره حتى نظفر بالنصر التام، إرادة الله أن يدخر له جزاءه كله في الآخرة، فلتنعم بها فأنت الأحق بها إن شاء الله، جنة الخلد مع الأنبياء والصديقين والشهداء، أما النصر الذي شاركت في وضع لبناته فندعو الله أن يجزي أمتك به ويكون من نصيبها، ندعو الله أن يكون النصر حليف مشروعك الحضاري الذي استهدف نهضة الأمة من كبوتها، هذا المشروع الذي نذرت فيه أعوامك الخمسة عشر الأخيرة لتنزيله على أرض الواقع المعاش منذ غادرت برج المفكر إلى ساحة الدعوة والنضال، كنا نرى قسوة الواقع وكنت تصر على رؤية نصف الكوب الملآن وتبصرنا به، تبحث عن شعاع أمل وتضمه إلى الآخر ثم تضمهما إلى شعاع ثالث، وهكذا لا تكل ولا تمل حتى تتحول الأشعة الدقيقة إلى حزمة ضوء تنير لنا مستقبلنا، كنت دائما تعترض، لا وقت للبكاء على اللبن المسكوب، فلنضيء شمعة بدلا من أن نلعن الظلام، أبهذه السهولة ترحل عنا؟، ليس سؤال اعتراض فاللهم لا اعتراض ولا حول ولا قوة إلا بالله، ليس سؤال استنكار فمعا ارتشفنا حلاوة الإيمان، أبهذه السهولة ترحل عنا؟، إنه سؤال تعجب من أن يرحل عنا فجأة من كان يعمل لدنياه وكأنه سيعيش أبدا، كلا لم يكن يعمل لدنياه، بل لدنيا وطنه وأمته، وأمته ستعيش أبدا إن شاء الله، فلم التعجب إذن؟، كما أنه أيضا كان دائم العجلة ويعمل لآخرته كأنه سيموت غدا، فلم العجب إذن؟، كان يلاحقنا ويطاردنا، الأمر لا يحتمل، " على بال ما تتكحل العمشة !! "، يبدأ اجتماعاته دائما بمراجعة التكليفات، لا ينتظر موعد الاجتماع، يلاحقنا هاتفيا، ماذا تم في هذا؟ ماذا تم مع ذاك؟، " أنا مش قاعد لكم كتير، إحنا جيل بيلم أوراقه "، فيم العجب إذن؟، الرجل لم يفاجئنا، وكأنه كان يشعر بدنو أجله رحمه الله.

*****

باعث الأمل في زمن الانبطاح

مع بداية التسعينات كانت حرب الخليج الثانية وكان ضرب الكويت والعراق معا وضرب الأمة جميعا وتمكن الأعداء منا، ثم كان مؤتمر مدريد واتفاق أوسلو وضرب الانتفاضة الأولى في فلسطين المحتلة نتيجة منطقية لكل هذه التداعيات، وساد الشعور بالإحباط، ومع هذا الشعور لم يرى الكثيرون بارقة الأمل التي كانت تبدو هنا أو هناك، وكنت أنا من بين هؤلاء، وفي عام ٩٦ وبدعوة كريمة من النقابات المهنية بدمياط كان لي شرف صحبة الأستاذ عادل حسين والتحدث في المؤتمر الذي انعقد في نقابة المهندسين، وكان دوري في الحديث سابقا للأستاذ، وتحدثت عن

حتمية نصر الأمة في صراعها ضد الحلف الصهيوني الأمريكي من منظور عقائدي وأن هذه الحتمية لا تتعارض مع حالة الوهن التي تمر بها الأمة الآن مستشهدا بحديث القصعة لرسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم فيما معناه " توشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها، قالوا أو من قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟، قال بل أنتم كثير ولكن كغثاء السيل، وينزع الله المهابة من قلوب أعدائكم ويقذف في قلوبكم الوهن، قيل وما الوهن يا رسول الله؟، قال حب الدنيا وكراهية الموت "، وفي حديث الأستاذ عادل انتقد استشهادي بالحديث وأنه ليس في موضعه مدللا بأن موازين القوى بمفهومها الشامل أضحت في صالح الأمة وبالحساب العلمي الدقيق، وفي رحلة العودة كان عتابه، ووافقته، لعلك تريد أن تبث الأمل في نفوس الحضور، ويحتد بشدة، بل إنها حسابات دقيقة وستثبت الأيام ذلك وأخذ يستفيض في الشرح، ولأنك هكذا يجب أن نترجم هذا لخطة عمل يشارك فيها كافة أعضاء الحزب، مؤتمر جماهيري في الحزب لتأييد مقررات قمة القاهرة، بعض الندوات المغلقة في الحزب يحضرها المتخصصون من السياسيين والعسكريين والمهتمين، وتبدأ الندوات من حيث كنت أنا وتنتهي أقرب ما تكون إليه، وفي قمة القاهرة ٢٠٠٠ قامت الدنيا ولم تقعد منتقدة قرارات القمة وكان عادل حسين نسيج وحده عندما وضع يده على النقاط الإيجابية في هذه القرارات، وكانت مباركته لانتفاضة الأقصى ورأى فيها ما يؤكد وجهة نظره في أن موازين القوى في صالحنا وإلا لما استمرت الانتفاضة هذه الفترة الطويلة، ثم كانت كتبه الأخيرة كلها في هذا الاتجاه وكان آخرها " بلغنا حافة الحرب – إسرائيل تحت الحصار والتهديد " والذي أصر على أن يهديه لأغلب قيادات الحزب مع إهداء رقيق منه.

تلك كانت قضيته المحورية في سنواته الأخيرة، استنهاض الهمم ومحاولة التقييم الصحيح لقوتنا الذاتية ومحاولة تعظيمها والتصدي لقوى الخنوع والاستسلام والانبطاح في زمن يضرب فيه أهلنا في الأرض المحتلة وفي الجنوب اللبناني أروع أمثلة التضحية والفداء بما يقرب من ساعة النصر.

هذا ما قدمه عادل حسين للأمن القومي المصري والعربي، فهل قدر أهل الحكم دوره - والذي يتبنونه الآن - أم انتصروا لجماعة الخنوع والاستسلام والتطبيع والانبطاح؟

*****

يوم عزائك يوم عرس في إسرائيل

لا إله إلا الله، كل مفارق وهو الباقي، كل زائل وهو الدائم، كل ميت وهو الخالد، قتلته القتلة حيا، مات زودا عن وطنه وأمته، مات كمدا شهيدا مدافعا عن مشروعه الذي صاغه لانتشال الأمة من كبوتها قتله القتلة حيا، ولأن مبادئه لا تموت فإنهم مصرون على قتله ميتا لأن شبحه مازال يطاردهم ويطارد حلفهم الصهيوني الأمريكي.

ونحن أيضا أصدقائه وتلامذته شاركنا في قتله رغم حبنا له، كان في أعوامه الأخيرة يدفع لنا ببعض مسئولياته فنأبى لأننا نوقن أنه يتخلى عنها زاهدا، ويرى ونرى معه في تحميله لنا بها نوعا من التكريم وهذه حقيقة ولكنها كانت نصف الحقيقة فقط، لأن نصف الحقيقة الآخر أن جسده كل وتعب والفارس لا يعلن ولا يشتكي ولا يتألم، يتخفف من بعض الحمل ويحملنا إياه ولكننا نفاجئ بأنه يحمل نفسه المزيد بديلا عما تخفف منه، وكيف للجسد المكلول أن يتحمل كل

هذا؟، وكيف لمن يتفاعل مع كل قضية مهما كان حجمها بكل جوارحه ومشاعره وأعصابه أن يتحمل؟، وكيف لمن يفكر بعقله ومشاعره وأعصابه أن ينجو من نزيف الدماغ كما يقول أحد المفكرين العرب في رثاءه؟، هل نرثي عادل حسين المفكر والمنظر، أم الصحفي ورئيس التحرير؟، هل نرثي عادل حسين السياسي والقائد والمحرك للجماهير، أم عادل حسين الإنسان؟ رثاؤنا أن يوم عزائك كان يوم عرس في إسرائيل ولكنه عرس لن يدوم طويلا إن شاء الله ففكره وتلاميذه ومبادئه باقية حجر عثرة ضد الحلف الصهيوني الأمريكي وضد التطبيع والمطبعين، رحم الله أستاذنا رحمة واسعة وتقبله قبول حسن وأسكنه روضة من رياض الجنة.

" الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم إليه صراطا مستقيما " ــ ١٧٥ النساء

٤ - عادل حسين مكتشف القيادات وصانعها

دكتور مجدي قرقر

وفي هذا المجال كان عادل حسين نسيج وحده يسبر غور الرجال، يعرف قدرهم، وبمهارة شديدة يضع يده على أهم ما عندهم ليدفع به إلى ما يحقق مقصده، ومقصده كان دائما انتشال الأمة من كبوتها لتأخذ مكانها اللائق بها بين الأمم.

*****

رئيس تحرير، نسيج وحده

في الفترة من ١٩٧٥ وحتى نهايات ١٩٨٥ انشغلت بدراساتي الجامعية للحصول على درجتي الماجستير والدكتوراه في الهندسة المدنية إلا أن هذا لم يمنعني من متابعة الحياة السياسية بشكل عام وحزب العمل وجريدة الشعب بشكل خاص، ومن هنا عرفت عادل حسين إبان رئاسته لتحرير جريدة الشعب قبل أن ألقاه وهذا أمر طبيعي، ولكنه أيضا فتح لي صفحات الشعب قبل أن يعرفني وهذا هو الاستثناء بين رؤساء تحرير الصحف.

ومع نهايات ١٩٨٥ وفي إحدى ندوات حزب العمل – ندوة الثلاثاء - شرفت بلقاء الأستاذ الدكتور / محمد حلمي مراد – رحمه الله - وسلمته مقالا ساخرا بعنوان (قانون الطوارئ وقانون الطوارق) وبعدها بأيام فوجئت بنشره في مكان بارز بجريدة الشعب، وفي ندوة تالية سلمت الدكتور حلمي مقالا ومسرحية سياسية قصيرة حول صفقة جنرال موتورز لشراء شركة النصر للسيارات وتصفحها الرجل وهو جالس على المنصة، وبعد الندوة أخبرني بأن المقال جيد ووعد بنشره أما بخصوص المسرحية فإن هذا يتوقف على رئيس التحرير الأستاذ عادل حسين، وفي عدد تال فوجئت بالأستاذ عادل محتفيا بالمسرحية وفي نصف صفحة يتوسطها المقال، أدركت ساعتها أن عادل حسين ليس رئيس تحرير عادي بل هو نسيج وحده بين الكتاب والمفكرين والسياسيين على السواء، شجاعة ليس لها نظير، ثورية وخروج على التقليد والمألوف يفتقده المناظرون له في موقعه، ومن هنا كان الفضل بعد الله سبحانه وتعالى في تعريف قراء الشعب بي لهذا الأستاذ المفكر والمبدع والمتميز، ولم يقتصر الأمر علي بالقطع فلقد كانت الشعب في عهد عادل حسين المعبر والمنطلق للتعريف بكثير من الكتاب والمفكرين ورواد التيارين القومي والإسلامي.

توجهت بعدها لجريدة الشعب شاكرا للأستاذ وإذا به يجاملني (أين أنت ؟، كنت أبحث عنك لأتعرف عليك) واستقبلني في مكتبه ودعاني لزيارته في بيته وبارك هذا اللون الذي أكتبه ودفع بي للأستاذ مجدي أحمد حسين حتى كان انضمامي لحزب العمل، كانت معرفتي بعادل حسين نقطة تحول في حياتي، كنت لا أعرف سوى مساري الأكاديمي بين كتبي وأبحاثي فإذا به يأخذ بيدي إلى مسار جديد – مسار العمل العام – ليحقق حلما طالما حلمت به وأنا طالب في الجامعة، كيف يكون لي شرف المشاركة في النهوض بأمتنا لتعود لها ريادتها الحضارية، وكان عادل

حسين دائم النصح حاول أن تحقق التوازن بين المسارين ولكن لا تنسى نصيب الأمة في ترتيب الأولويات، هناك الكثير من أساتذة الجامعات ولكن القليلون هم من يشاركون في محاولة النهوض بالأمة.

*****

يكتشف ويصنع الخبراء

في عام ١٩٨٧ أرسل المهندس / حسب الله الكفراوي وزير الإسكان والتعمير – وقتها - بمشروع قانون لتنظيم العلاقة بين المالك والمستأجر في العقارات القديمة، ودفع لي الأستاذ عادل بمشروع القانون (أدرس القانون وسجل رؤية نقدية له وأعد دراسة لنشرها بالجريدة)، وقمت بالمطلوب والتقيت بالأستاذ وناقشته وأسقط البعد السياسي على البعد التقني الذي وضعته وأشار إلى ضرورة تحقيق المعادلة الصعبة في تحقيق العدل الاجتماعي مع الحفاظ على حقوق ملكية الأفراد من أصحاب هذه المساكن من الأرامل والأيتام، نصف ساعة جلستها معه كانت كفيلة بمزج السياسي بالتقني وبصناعة خبير في مجال الإسكان، ونشرت الدراسة بجريدة الشعب في صفحة كاملة، ودعا الأستاذ عادل إلى ندوة تضم كافة القوى السياسية لمناقشة وزير الإسكان في مشروعه، وفي الندوة حول الدكتور محمد حلمي مراد الحوار إلى مناقشة قضية الإسكان دون الدخول في تفاصيل القانون وامتدت الندوة إلى جلستين أو ثلاث حتى يمكن مناقشة القانون، وفي هذه الندوة أعطى الأستاذ عادل مساحة كبيرة لي وللزميل الدكتور عاصم الفولي للمشاركة ولم يكن عاصم قد انضم للحزب وقتها، وفي نهاية الندوة يطبع الأستاذ قبلة على جبيني (هكذا رفعت رأسنا عاليا)، كان هذا هو عادل حسين مكتشف وصانع الخبراء.

*****

الموسم الثقافي والشخصيات العامة

تبذر البذرة وتزرع وتحصد وتترك الحقل لآخرين لتبذر بذرة جديدة في مكان جديد

انخرطت في العمل الحزبي ولم أكن قد توليت أي موقع قيادي في حزب العمل فقضية المواقع لم تكن تشغل عادل حسين فالعبرة بالعمل ومن يؤدي، وفي عام ١٩٨٩ عهد الأستاذ عادل حسين لي بمسئولية تنظيم موسم ثقافي في مقر الحزب بمصر الجديدة، موسم ثقافي يشارك فيه النخبة السياسية والفكرية في مصر ويقرب الرؤى بين طرفي التحالف الإخوان والعمل وبينهم وبين التيار القومي، موسم ثقافي يعظم المشترك بين هذه التيارات ويبعد بها عن المناظرات والمنازلات وتسجيل الأهداف في مرمى الآخر، ويمتد الموسم لعامين أو ثلاثة، ويقدمني الأستاذ لرموز الفكر والسياسة في مصر عن طريق كارت الدعوة للموسم الثقافي حيث وضع اسمي مجاورا لاسمه كداعين للموسم في تواضع كبير منه، وتتعدد أنشطة المركز العربي الإسلامي للدراسات والذي أنشأ في نفس المقر ليكون بؤرة إشعاع فكري وثقافي.

ويعلمني الأستاذ عليك أن تبذر البذرة وتزرع وتحصد وتترك الحقل لآخرين لتبذر بذرة جديدة في مكان جديد، ويتعدد النشاط الثقافي في الحزب وبأشكاله المختلفة ويشارك الكثيرون من جيلي ومن الأجيال التالية ومن شباب الحزب في الإعداد والتجهيز والانتشار، دكتور أحمد الخولي، دكتور رفعت سيد أحمد، دكتور محمد مورو، خالد يوسف، محمد القدوسي، ممدوح الشيخ، حازم سالم، طارق الكركيت، مواسم ثقافية، دورات كوادر، أشكال مختلفة وفي مجالات متعددة، في القاهرة والإسكندرية وفي كافة المحافظات.

ويعلمني الأستاذ أن هذه الأنشطة يجب أن تصب في الرصيد الوطني والإسلامي لذا علينا أن نعظم العائد التنظيمي من المثقفين والشخصيات العامة بما يحقق صالح الحزب وصالح الأمة.

ويعلمني الأستاذ، هذه الشخصيات العامة يجب أن نظل على تواصل معها بغض النظر عن انتماءاتها فهم رصيد وطني يتضامن معنا في كل المواقف التي تستدعي تكاتف القوى للذود عن أمتنا، ثم إن علينا أن نسعى إليها ولا ننتظر حتى تأتي لتشاركنا فعالياتنا، علينا أن نتواجد في المنتديات المختلفة وأن يكون حضورنا فاعلا في المناقشة والحوار، وأن يكون حوارنا موضوعيا ويسعى للتجميع لا التفريق بما يحقق صالح الأمة، وفي هذه المنتديات علينا أن نسلح أنفسنا بالقراءة، القراءة، القراءة، القراءة، تلك كانت آخر وصاياه رحمه الله ويومها غمرني بفيض كريم من الحب، سألت الله يومها أن أكون عند حسن ظنه وما كنت أدري يومها أنه اللقاء الأخير معه، ولكن كيف يكون اللقاء الأخير وفكره بين أيدينا في كتبه وتسجيلاته، رحمه الله رحمة واسعة إزاء ما قدم لوطنه وأمته ودينه.

المواجهة

حول الاعتدال والتطرف في الإسلام

بين

د. رفعت السعيد و عادل حسين

حوار: رفعت السعيد   عادل حسين

تعليقات:

محمد سعيد العشماوي
نصر حامد أبو زيد
خليل عبد الكريم
مصطفى عاصي
مجدي قرقر
صلاح عدلي

د. مجدي قرقر

أمين عام مساعد حزب العمل

أيدينا بيضاء... خشنة... متوضئة

«أغسل يدك من دم الإرهاب حتى أستطيع أن أتفاهم معك».

بهذه الكلمات أنهى د. رفعت السعيد مناظرته مع الأستاذ عادل حسين أمام جمع كبير من المثقفين والسياسيين المصريين والعرب... وليعلم د. رفعت أن أيدينا بيضاء لم تلوث بدماء الأبرياء.... أيدينا خشنة يحبها الله ورسوله حيث تعمل لخير أمتنا... أيدينا متوضئة تخاف الله في كل ما تعمله وما تكتبه، لم تزيف تاريخاً ولم تجتزئ نصاً وستشهد علينا يوم القيامة.

(ملاحظة شكلية)... عنوان المناظرة «الاعتدال والتطرف في الإسلام السياسي».. ومن هنا كان الواجب أن يكون رفعت السعيد أول المتحدثين حتى يعرض رؤيته النقدية ليعقب عليها عادل حسين... إلا أن د. رفعت تعهد في البداية أن يكون اللقاء ندوة أو حواراً لأن المناظرة تمتلك قدراً من اللجاجة ينأى بنفسه وبمحاوره عنها... وما أن جاء دوره حتى جاء حديثه مناظرة مليئة باللجاجة والتهكم والسخرية والضرب تحت الحزام.

(ملاحظة عامة) لقد دعا عادل حسين إلى الحوار بصدر رحب وعقل مفتوح وصبر يحسد عليه ففي إطار ما يقتضيه «فقه الأولويات» دعا إلى مواجهة الصهيونية وإلى البحث عن سبل الاستقلال الاقتصادي والعدل الاجتماعي ولتحقيق ذلك دعا إلى تجاوز الخلافات وتأسيس جبهة تواجه التحديات إلا أن رفعت السعيد آثر أن يغرق في الخلافات ولم يتعرض لأية نقطة من هذه النقاط بما يعني رفضه للحوار رغم أننا نعتقد أن هذه النقاط تقع في مساحة الاتفاق مع التجمع.

(تزييف التاريخ) تغلب المؤرخ على السياسي في تعقيب رفعت السعيد... ولكن هل التزم أمانة المؤرخ؟!... ما من شك في أن هناك بعض السلبيات التي شابت التاريخ الإسلامي وشابت ممارسات بعض الجماعات التي انحرفت عن صحيح الإسلام ولكن أن نسرد هذه الأحداث للتعبير عن تاريخ الدولة الإسلامية وحضارتها فإن هذا يعتبر تزييفاً للتاريخ لخدمة أهداف ما كنا نود للدكتور أن يقع فيها.

(لغة الخطاب) ولقد تحدث عادل حسين بلغة السياسي دون أن يتنازل عن صحيح دينه أو ما يمليه عليه فكره السياسي وهذا ما اقتضته طبيعة اللقاء في محاولة منه لإقناع مخالفيه... إلا أن الغريب أن رفعت السعيد والذي يعيب علينا عدم التمييز بين العنصر الإيماني في الدين وبين العناصر السياسية والاجتماعية الأخرى ـ فصل الدين عن السياسة ـ الغريب أنه حاول أن يوظف الدين لدحض رؤية مخالفيه باجتزاء النصوص وتزييف التاريخ وهنا ينطبق عليه مصطلح «التأسلم» الذي وصف به مخالفيه لتكفير التيارات الإسلامية أو وصفها بالنفاق على أحسن تقدير طبقاً لتعريفه للتأسلم بأنه (علامة على التشبه بشيء لكنها ليست الشيء ذاته) ـ أليس غريباً أن يمارس رفعت السعيد التكفير وتوظيف الدين رغم أنه ما زال في الخندق الماركسي على ما أعلم؟!.

(اجتزاء النصوص) ويشير رفعت السعيد إلى حديث بأن الخلافة ثلاثون عاماً ثم تصير ملكاً عضوضاً ولكنه لم يشر إلى حديث حذيفة الذي أخرجه أحمد وأبو داوود والترمذي في أن الحكم في دولة الإسلام يمر بعدة مراحل (نبوة ـ خلافة على منهاج النبوة ـ ملك عضوض ـ ملك جبري ثم خلافة على منهاج النبوة) إنه منهج (ولا تقربوا الصلاة!!!) لغرض في نفس الدكتور.

(التعددية) وخير دليل على التعددية في الإسلام تلك الصحيفة التي حررها الرسول (صلى الله عليه وسلم) بعد الهجرة للمدينة والتي اعترفت بمكونات هذا الواقع بكافة عناصره من يهود ومشركين ومهاجرين وأنصار.

ويأبى رفعت السعيد إلا أن يضع كل التيارات الإسلامية تحت خيمة واحدة وهذا صحيح إذا كانت هذه الخيمة هي خيمة الإسلام... وإذا كان الاعتراف بالآخر غير المسلم قائماً كما أسلفنا فما بالنا بالآخر المسلم والآخر الإسلامي... والقاعدة الفقهية واضحة وهي أن الاتفاق في الأصول واجب أما الفروع فمساحة الحركة فيها واسعة ومن هنا تتعدد التيارات والجماعات داخل الإطار الإسلامي فالتعددية في الإسلام رحمة كما يقول المبدأ الفقهي (إجماع الفقهاء حجة قاطعة واختلافهم رحمة واسعة).

(الديمقراطية) والشورى فريضة إسلامية وهي حق مقرر للحكام والمحكومين وليس أحد الطرفين أحق بها من الآخر... أما تنظيم استعمال هذا الحق فهو الشكل العملي أو الآلية لممارسة الشورى من حقوق وواجبات فهي وسيلة اجتهادية لتحقيق مقصد شرعي صحيح... وبالتالي فنحن مع الديمقراطية وتداول السلطة وضد الاستبداد السياسي والسلطان المطلق للحكام أو الطاعة المطلقة لهم.

(الدولة الدينية أو الثيوقراطية) الإسلام لا يعرف الحكومة الدينية بمعنى حكم رجال الدين لأن الإسلام لم يشترط في حاكم المسلمين أن يكون أكثر الناس معرفة بعلوم الدين أو أكثرهم تديناً وسماحة وأخلاقاً حتى أن ابن تيمية ذهب إلى أن الواجب في كل ولاية الأصلح بها... فيقدم في إمارة الحروب الرجل القوى الشجاع وإن كان فيه فجور على الرجل الضعيف العاجز وإن كان أميناً... لا كهنوت في الإسلام وعلماء الإسلام وكذلك الحكام ليسوا بمعصومين والدولة الإسلامية دولة مدنية مرجعيتها الشريعة الإسلامية ثم الشورى فيما لم يرد فيه نص قطعي الثبات قطعي الدلالة.

نكرر دعوة عادل حسين لرفعت السعيد في أن يأتي لكلمة سواء لما فيه خير أمتنا.

٦- عادل حسين وكتابي "كفر البلاص"

د. مجدي قرقر
٥مايو ١٩٩٦م

في مراحل صباي الأولى وفى أحد كتب القراءة قرأت موضوعا عن الثورة العرابية مذيلا بسؤال يطلب من القارئ أن يعيد صياغة الموضوع على هيئة مسرحية أو حوار.. وقمت بأداء المطلوب وإذا بالقالب المسرحي أو الحوار فيه سحر قد تملكني وتمكن منى ولم أستطع منه فكاكا حتى اليوم.

ولم يكن الإبداع يوما إبداعا لمجرد الإبداع فهموم الأمة وآلامها كانت معنا دائما.. وإيماننا بأن هذه الأمة العظيمة سيأتي يوما لينتشلها الله من كبوتها لم يتزعزع.. وفى هذا الإطار كنت متابعا للحياة السياسية بشكل عام ولحزب العمل وجريدة الشعب بشكل خاص.. وفى نهاية عام ١٩٨٥ أرسلت عدة مقالات سياسية في قالب مسرحي لجريدة الشعب ولم أكن ساعتها تعرفت بعد على الأستاذ الكبير عادل حسين رئيس تحريرها وفوجئت بنشر هذه الأعمال في مكان بارز في الجريدة.

أدركت ساعتها أن عادل حسين ليس رئيس تحرير عادى بل هو نسيج وحده بين الكتاب والمفكرين والسياسيين على السواء.. شجاعته ليس لها نظير.. ثورته وخروجه على التقليد شيء فذ يفتقده المناظرون له في الموقع والمكانة.. ولولا هذا التفرد لشخص عادل حسين ما كان لهذه الأعمال أن تعرف طريقها إلى مئات الآلاف من قراء الشعب وما كان هذا الكتاب بالتالي.. إن الفضل في هذا الكتاب يرجع بعد الله سبحانه وتعالى إلى الأستاذ عادل حسين هذا المفكر المبدع والمتميز والذى كانت جريدة الشعب في عهده معبرا للانطلاق أو للتعريف بكثير من الكتاب.. وبعد عادل حسين يأتي فريق العمل المعاون له في الشعب وفريق العمل الذي خلفه.

تبقى نقطة.. هي أنني عندما كتبت بعض هذه الأعمال كمقال سياسي في قالب مسرحية قصيرة حسبت أنني أكتب لونا جديدا إلا أنني فوجئت بعد ذلك بسنوات أن الشاعر والأديب المبدع على أحمد باكثير كتب الكثير من هذا اللون بأسلوبه الخاص في مجلة "الإخوان المسلمون" في الأربعينات فوجب على أن أذكر بفضل الريادة لهذا الشاعر المبدع والذى كان له أيضا فضل الريادة في مجال الشعر الحر وإن سلبه النقاد هذا الحق.

في النهاية أذكر بمقولة فيلسوف فرنسي "لا شيء يجعلنا عظماء غير ألم عظيم" كما أذكر بالأثر الشائع "شر البلية ما يضحك" ومقولة المتنبي الخالدة "كم ذا بمصر من المضحكات.. ولكنه ضحك كالبكا" ومن تربة مصر الضاحكة المبكية خرج شعب مصر الساخر وخرج الساخرون القدامى والمحدثين وخرج هذا الكتاب من تراب مصر صارخا باكيا ضاحكا ساخرا لعل الله يوما يأذن بالفرج

د. مجدي قرقر

٥مايو ١٩٩٦م

٧- عادل حسين الذي اعتقد بفاعلية المثال

دكتور عبد الوهاب المسيري

٢٧ مارس ٢٠٠١

جاء إلي منزلنا مع مجموعة من الأصدقاء (الشلة كما نقول بالعامية المصرية) لتسجيل فيلم عن الموسوعة، وحين فرغنا منه، جلسنا نتحدث، وظل عادل حسين صامتاً بعض الوقت، ولعله كان مهموماً بشؤون الحزب والجريدة، ومتي سينفذ حكم المحكمة، فطلبنا منه أن يشترك في الحوار، وقد كان، بدأ يتحدث عن السياسة الأميركية والإدارة الجديدة وعن الاقتصاد المصري وعن توازن القوي في العالم ونوعية السلاح في سورية ومصر وإسرائيل وتدفق كعادته، فوقف الفنان حلمي التوني وقال ضاحكاً: أنتم المسؤولون ... كان صامتاً، والآن لن يمكننا أن نوقفه!.

تحدثت معه يوم الخميس ٨ آذار (مارس) وجدته ممتلئاً حيوية ونشاطاً، وتحدثنا سريعاً عن كل شيء: عن الأولاد والأحفاد والحلف الصهيوني الأميركي وعن صحتنا وكيف بدأنا نتقدم في السن، وداعبته كعادتي: هل ما زلت غير قادر علي تنفيذ حكم المحكمة؟ . وأكدت له أن سؤالي ليس له أي مضمون سياسي أو أيديولوجي، كل ما في الأمر أنني أود مساعدته في أن يجد عملاً جديداً، وضحكنا واتفقنا أن نلتقي يوم السبت عند ابنته، لنري (بهية) حفيدته الجديدة.

وحين اتصلت يوم السبت، أجابت الدكتورة ناهد، بالهاتف فسألتها: أين الزعيم؟ (هكذا كنت أسميه، ضاحكاً وجاداً في آن واحد) أجابتني إنه في المستشفى في غرفة العناية الفائقة، لم أصدق الخبر في بادئ الأمر، وأمطرتها بأسئلة سخيفة مثل لماذا؟ وكيف؟ وكأنه ذهب لغرفة العناية الفائقة لأمر غير معروف، أو معرفته!

ثم بدأت أدرك الموقف. وظللت أعاود الاتصال بها للاطمئنان عليه، ولأطمئن نفسي. ثم بدأ جرس الهاتف يرن في منزلي، إذ بدأ الأصدقاء يعزونني في الغالي. ساعتها أدركت الموقف جزئياً، وسقط قلبي في قدمي. وحين رأيت جسده الطاهر النحيل ملفوفاً بعلم مصر، وحين رأيت كل أصحاب الأفكار والمواقف يسيرون في جنازة الشهيد (مع بعض الوزراء والمئات من جنود الأمن المركزي)، أدركت الحقيقة أنني فقدت صديقاً عزيزاً وفياً نادراً، طالما أثري حياتي بفكره وبحبه وبعقله وقلبه وفقدت مصر والعالم العربي والإسلامي مفكراً وقائداً. عرفت لحظتها أن الأمور لم تعد كما كانت، وظهر فراغ لم يسده أحد. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

إن نقطة النهاية بالنسبة إلي البعض هي النهاية، أما بالنسبة إلي عادل حسين فهي نقطة الاكتمال، اللحظة التي ندرك فيها البدايات والمسارات، ونري حياة فرد تتحول إلي مؤشر علي الطريق الذي يجب أن نسلكه، وعلي الإمكانات الكامنة فينا وفي أمتنا وحضارتنا، والتي تنتظر التحقق. ندرك على سبيل المثال أن الفقيد لم يفصل قط بين الفكر والفعل، والمقاومة عنده تأخذ أشكالاً كثيرة: حين انضم إلي حركة مصر الفتاة وحين جاهد ضد النظام الملكي، وحين تطوع للقتال ضد قوات الاحتلال في القناة العام ١٩٥١، ثم حين اشترك في صد عدوان ١٩٥٦، كان يقاوم. وحين دخل السجن مرات عدة دفاعاً عن موقفه وعن شرف الأمة، وعُذب غير مرة (على رغم تغير النظم السياسية) كان يقاوم، وكما يقول محمد سيد أحمد إن استشهاد شهدي عطية الشافعي أثناء التعذيب هو الذي أنقذ عادل حسين من الهلاك تحت وطأة التعذيب في اليوم نفسه

وفي أثناء موجة برد قارصة، وكان خرج لتوه من المستشفى بعد أزمة قلبية. أودع في السجن وكان ينام على أرض الزنزانة ولم يكن معه من الملابس ما يكفي، ويقدم الإنسان إشاراته الأخوية، فكان بعض المسجونين يعطونه ملابسهم.

وفي أثناء فترة سجنه هذه، في أثناء الكفاح من أجل البقاء الجسدي وأثناء مقاومة السجان الذي يريد أن يحطم إرادته وتصميمه، لم تفارقه ابتسامته ولم تفارقه الرغبة في تغيير العالم. وفي الحوار معه، أرسل لي رسالة شفوية يقول فيها إن فترة سجنه تعد فرصة ذهبية له للقراءة، ولذا طلب مني أن أرسل إليه نسخة من الموسوعة (ولم تكن قد نشرت بعد) ففعلت، وحين خرج وذهبت لأهنئه بالإفراج عنه، كان يناقشني في ما جاء في الموسوعة، بعد دقائق عدة دهشت وزاد إعجابي بهذا الإنسان. هذا العقل المفكر والروح الملهمة، الذي طالما كان يعقد الاجتماعات لمجموعة من المثقفين نقرأ ونتدارس سوياً، شعلة نشاط إنساني، وهبه الله عقلاً نافذاً لكنه ليس عقلاً محضاً بارداً وإنما عقل إنسان له قلب وروح، قادر علي الدخول في علاقات إنسانية وفكرية حميمة يتدفق دائماً حباً وحياة وفكراً ومحبة.

صداقتي بعادل حسين شيء لم أعرف مدي عمقه إلا ساعة الفراق، كنا نتزاور دائماً وأسرته، عرفته عن قرب في حياته الخاصة، رأيت صلابته في زمن الاستهلاك والفساد والخصخصة والتباهي بالثروة والفضائح، في وسط كل هذا وقف عادل حسين كالنجم الساطع الطاهر، يعيش في شقة صغيرة، أثاثها بسيط وجميل، أسلوب حياته ذاته كان شكلاً من أشكال المقاومة، سمعت أن إحدى حفلات الزفاف في القاهرة تكلفت ٧ ملايين جنيه (حوالي مليوني دولار).

أما زفاف سلمي عادل حسين فكان بسيطاً لكنه من أجمل الأفراح التي شاهدتها في حياتي، كانت فرصة نادرة أن نستمع إلي بعض الموسيقي وان نتجول في حديقة وأن نتجاذب اطراف الحديث مع الأصدقاء. وقالت الدكتورة ناهد ضاحكة سلمي مبدعة مثل أبيها، إن أسلوب حياة عادل حسين كان شكلاً من أشكال المقاومة.

وهكذا كان فكره أيضا... بدأ شيوعياً وقضي الربع قرن الأخير من حياته مفكراً عروبياً إسلاميا، ويفسر البعض هذا التحول بأنه نوع من أنواع البراغماتية السياسية، ولكن ما حدث لعادل حسين من تحول حدث للكثير من المثقفين العرب في مصر، علي الأقل يمكن أن نشير إلي طارق البشري ومحمد عمارة وكاتب هذه السطور وغيرهم، وعلي مستوي العالم هناك الكثيرون ومن أهمهم غارودي، وحدث التحول في الفترة نفسها تقريباً ما يدل علي أن هناك نمطاً تاريخياً عاماً، لعله مرتبط بأزمة الحداثة وأزمة النظامين الرأسمالي والاشتراكي، ولذا لا تصلح البراغماتية أن تكون نموذجاً تفسيرياً في هذه الحال.

عادل حسين كان مثالياً ثورياً بمعني انه يؤمن بأن المثاليات والثوابت جزء أساسي من إنسانيتنا، ولها فاعلية في المجتمع الإنساني، وثورياً بمعني أنه يؤمن أنه عن طريق التمسك بهذه الثوابت والمثاليات يمكن ان نغير المجتمع ومسار التاريخ.

والمثالي الثوري لا يؤمن بالحتميات ولا يذعن لقوانين الضرورة ولا يفسر ظاهرة الإنسان بعنصر مادي (عادة اقتصادي) واحد، وحين كان عادل حسين ماركسياً فهو كان ماركسياً إنسانيا، يؤمن بالعدل كقيمة مطلقة، وبالإنسان ككائن متفرد، وان الاقتصاد بُعد مهم لكل الظواهر الإنسانية ولكنه ليس البُعد الوحيد، ومن هنا رفضه للقوانين الحتمية المجردة التي تؤدي إلي السقوط في المادية

المصمتة، وفي نهاية الأمر في الستالينية، ومن هنا أيضا إدراكه لأهمية الخصوصية الحضارية، أي أن ثمة انتقالاً من التركيز علي المادي العام إلي التركيز علي الإنساني والحضاري الخاص، وهذا هو جوهر رؤيته في المرحلة القومية العروبية والتي كتب فيها كلاسيكية الاقتصاد المصري من الاستقلال إلي التبعية، وساهم في تأسيس منبر الحوار، ومع الإيمان بالإنسان كظاهرة منفردة في الكون ينتقل الإنسان، شاء أم أبي، من عالم الطبيعة - المادة إلي عالم ما وراء الطبيعة وما وراء المادة لتفسير هذه الفرادة، فتنفك يد الحتميات وينطلق الإنسان إلي رحابة الإيمان: الإيمان بالإنسان الذي يستند إلي الإيمان بالله، وتسقط الاستمرارية المادية ويصبح التاريخ مجالاً للحرية. كل هذا يفسر تفاؤل عادل حسين، كان يبحث دائماً عن علامات الأمل في التاريخ والأفراد، فيشجعها ويشير لها، ولعل هذا ما ضمن له الاستمرار، برغم ما يحيط بنا من كل جانب من محبطات.

ولأن تحولاته الفكرية شكل من أشكال المقاومة، نجد أن هذا المفكر النظري من الطراز الأول ينتقل من عالم الفكر إلي عالم الممارسة في أوائل الثمانينات، فيبذل جهداً غير عادي في تطوير خطاب إسلامي جديد، له مضمون سياسي جهادي حقيقي، وله حس تاريخي عميق، ولذا فهو خطاب قادر علي التصالح مع الخطاب القومي ومع أي خطاب مقاوم للحلف الصهيوني الأميركي، ولذا لم يتوقف عادل حسين ابدأ عن حضور المؤتمر الإسلامي القومي، أو عن الكتابة عنه ويترجم هذا الخطاب نفسه إلي حزب معارض، يصبح هو المعارضة الحقيقية في مصر، ويستوعب كثيراً عن التيارات الإسلامية التي ترمي إلي إصلاح مصر والعالم العربي، فيبين لها إمكانية العمل من خلال القنوات الشرعية ويحول جريدة الشعب إلي جريدة ناطقة باسم الشعب. (هل كان يعلم من قاموا بإسكاته انهم بذلك سدوا الطريق أمام المعارضة السياسية، لتحل محلها أشكال من المعارضة أقل ما توصف به أنها هزيلة لا معني لها غير اجتماعية ؟). كان عادل حسين يقاوم في عالم الممارسة وهو يعرف تماماً إمكاناته التنظيرية، وكثيراً ما كان يتوقف قليلاً ويصارحني أنه أحيانا يود لو تفرغ لكتابة العمل النظري الأكبر الذي يود إنجازه. ولكن جاءت اللحظة، وحتى أشجع الفرسان عليه أن يترجل.

يوم وفاته حزنت، بكيت، مادت بي الأرض، وفي المساء كان عليّ أن ألقي محاضرة عن الخطاب الإسلامي الجديد فكرت: هل أعتذر عن عدم إلقاء المحاضرة أم لا؟ ففكرت في عادل حسين، ورأيت انه لو كان مكاني (ويا ليته كان مكاني وكنت مكانه) لألقي المحاضرة وقام بعد ذلك بواجب العزاء، ففعلت. وهكذا تعلمت منه يوم وفاته، وهذا ما ستفعله الأجيال من بعدي. لم يمت من أنجب فكراً وحرك شعباً... والله أعلم.



دكتور عبد الوهاب المسيري

الفيلسوف العالم، قاهر الصهيونية، المناضل ضد الفساد والتبعية

١ - عبد الوهاب المسيري: الفيلسوف العالم، قاهر الصهيونية، المناضل ضد الفساد والتبعية[٣٢]

بقلم دكتور مجدي قرقر

رحل الدكتور عبد الوهاب المسيري أحد عمالقة الفكر في حياتنا المعاصرة، مات واقفا كالنخل بعد أربعين عاما من النضال الفكري والإبداعي والسياسي، مات واقفا في مواجهة مرض السرطان الخبيث وفي مواجهة الاستبداد والفساد الأكثر خبثا وخطورة.

عبد الوهاب المسيري الذي كان الجميع يحتفي به أينما كان ووقتما كان، أصبح الجميع في أخريات سنواته يخشون الالتقاء به أو مهاتفته - بعد توليه مسئولية المنسق العام لحركة (كفاية) المعارضة - حتى أنه شكر للأستاذ محمد سلماوي رئيس اتحاد أدباء وكتاب مصر والعرب شجاعته إذ دعاه لحضور إحدى فعاليات الاتحاد الثقافية قبل وفاته بشهرين دون خوف من السلطات الرسمية.

في عام ١٩٨٩ عهد إلي الأستاذ عادل حسين بمسئولية تنظيم موسم ثقافي في مقر الحزب بمصر الجديدة، موسم ثقافي يشارك فيه النخبة السياسية والفكرية في مصر ويقرب الرؤى ويعظم المشترك بين التيارات الوطنية المختلفة ويبعد بها عن المناظرات والمنازلات وتسجيل الأهداف في مرمى الآخر، ويمتد الموسم لعامين أو ثلاثة، ومن بين هذه الرموز الفكرية التي شرفني بمعرفتها كان الأستاذ الدكتور عبد الوهاب المسيري والذي تعددت لقاءاتي معه في اجتماعات مجلس أمناء مجلة "منبر الشرق" التي كان يصدرها "المركز العربي الإسلامي للدراسات" والذي أنشأ في نفس التوقيت ليكون بؤرة إشعاع فكري وثقافي. وتابعت التواصل مع الدكتور المسيري وتضامن معنا في كل المواقف التي تستدعي تكاتف القوى للذود عن أمتنا.

*****

ثلاث محطات في حياة المسيري

المحطة الأولى: محطة الفيلسوف العالم المفكر

---

[٣٢] كلمة مجدي قرقر التي ألقاها في حفل تأبين المسيري بنقابة الصحفيين يوم ١٢ يوليو ٢٠٠٩

<u>المحطة الأولى:</u> محطة الفيلسوف العالم المفكر المبدع المتمسك بهويته العربية الإسلامية، والتي عرضها في كتابه "رحلتي الفكرية: سيرة غير ذاتية غير موضوعية- في البذور والجذور والثمار"

كتب عن العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة وكتب عن إشكالية التحيز: رؤية معرفية ودعوة للاجتهاد وكتب عن الحداثة وما بعد الحداثة، ودراسات معرفية في الحداثة الغربية.

والدكتور المسيري العالم له دراساته اللغوية والأدبية من أهمها: اللغة والمجاز: بين التوحيد ووحدة الوجود، ودراسات في الشعر، وفي الأدب والفكر،

والدكتور المسيري المبدع والفنان صدر له ديوان شعر ونشر عدة قصص وديوان شعر للأطفال.

*****

قميص المسيري

وعندما تزوره في بيته فهو بيت عربي في شكله وأثاثه، المشربيات، الأرابيسك، اللوحات الفنية، السجاد أو الكليم العربي، نورج الحقل الموضوع في مدخل المنزل، كل شيء يؤكد أنك في بيئة عربية يحبها صاحبها.

ليس المبنى والأثاث فقط بل والملابس أيضا، دكتور المسيري صمم لنفسه قميصا خاصا به يناسب بيئتنا الحارة المتربة، قميص يجمع بين القميص الأفرنجي والجلباب البلدي، قميص بنصف كم، وبدون ياقة، وفتحته مماثلة لفتحة الجلباب البلدي ولا يتجاوز طولها ال ٢٠ سم، إنه قميص المسيري العجيب، والعجب هنا عائد على القميص.

*****

المحطة الثانية: الدكتور عبد الوهاب المسيري قاهر الصهيونية! ..

<u>المحطة الثانية:</u> الدكتور عبد الوهاب المسيري قاهر الصهيونية! .. والذي وقف على ثغرة لم يقف عليها أحد قبله فهو صاحب أشهر موسوعة عن الصهيونية، لم يكتفي بالوقوف على الثغرة بل فتح أبوابا للمعرفة فيها ليكشف حقائق وتاريخ الصهيونية! .. ثم كتابه الصغير الذي قدمه هدية للمقاومة واحتفاء بها بعد انتفاضة الأقصى المباركة

ستظل موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية علامةً بارزةً في مسيرةِ الراحل الكبير الفكرية، وستبقى مرجعًا أساسيًّا على تطاول الأزمان لفهم المسألة اليهودية والمشروع الصهيوني، وستبقى الملامح الرئيسية التي أرساها المسيري في فهم الصراع ضد الصهيونية قائمة ومحل جدال شديد حتى تنتصر ضد هذا المشروع العنصري. والشيء المهم أن هذا العمل الموسوعي

شارك فيه مجموعة كبيرة من الشباب وقتها يملئون الساحة الفكرية الآن كتيار يمثل مدرسة المسيري ليظلوا يزودون عن هذه الثغرة في مواجهة الحلف الصهيوني الأمريكي.

*****

المحطة الثالثة: محطة المناضل المجاهد الذي خرج إلى المظاهرات

المحطة الثالثة: محطة المناضل المجاهد الذي خرج إلى المظاهرات وسط المئات والعشرات مع حركة كفاية؛ حيث لم يُقعده سنه، لم يمنعه مرضه عن تولي قيادتها ضد الظلم والفساد والتوريث والاستبداد، أبت عليه شجاعته إلا أن ينتصر للوطن وينزل من على مقعد العالم والمفكر والمبدع ليساعد في انتشال هذا الوطن المرزوء بالمحن من كبوته، ينزل إلى ساحة العمل السياحي ومعتركه منسقا عاما لحركة (كفاية) لأنه وجد فيها فرصة ذهبية – كما كان يردد - للخروج بهذا الوطن من محنته.

لم تكن هذه هي المرة الأولى الذي نزل فيها إلى الشارع بل نزل معنا منذ ما يقرب من العشرين عاما إبان العدوان الأمريكي على العراق وقتها كانت هناك تظاهرة بجوار مسجد عمر مكرم في مواجهة السفارة الأمريكية نظرا للحشود الأمنية ومع تصاعد الهتافات – وكان ذلك غريبا على الشارع السياسي المصري – انصرف البعض من الشخصيات العامة (دكتور جلال أمين رحمه الله – أستاذ جورج إسحاق) ولكنه المسيري أصر على الاستمرار بل وشارك ضمن الوفد الذي التقى بالمستشار الثقافي للسفارة الأمريكية وأصر وقتها على التحدث أمامه باللغة العربية وهو من هو كأستاذ متفرد في آداب اللغة الإنجليزية.

كانت وقفته الثانية التي أذكرها أمام السفارة الفرنسية حيث قدمنا احتجاجا ضد محاكمة الفيلسوف الفرنسي المسلم بتحريض من الصهاينة بتهمة معاداة السامية.

*****

محطة التحول الفكري من الماركسية إلى الإسلام
خِيَارُهُم في الجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ في الإسْلَامِ

أتوقف عند محطات مهمة في حياة المسيري وأولها: التحول الكبير الذي حدث بانتقاله من الماركسية إلى الإسلام.. يقول المسيري عن نفسه إنه لم يكفر بالله قط، ولم يتحول إلى الإلحادِ، ولكنه اعتنق الفكر الماركسي كفلسفةٍ تُقدم أجوبةً عن الأسئلة الكبرى، وإن رفاقه وزملاءه كانوا يطلقون عليه لقب "الماركسي المسلم"، وإن تحوله جاء بعد اكتشافه المبكر فشلَ الفلسفة الماركسية في وضع حلولٍ حقيقيةٍ وأجوبة تامة عن أسئلة الوجود الكبرى؛ وذلك قبل فشل التطبيق للنظرية في الدول الاشتراكية والشيوعية.

كان تحول المسيري مع مجموعة من رفاقه يضيفون إلى الفكر الإسلامي من موقعٍ مستقلٍ؛ مما أثرى الحياةَ الفكريةَ كلها وقوَّى المعسكر الإسلامي برجالٍ مثل المسيري والبشري وعمارة وعادل حسين وغيرهم.

دعا رسولنا الكريم ربه أن يعز الإسلام بأحد العمرين عمرو بن هشام أو عمر بن الخطاب فاستجاب الله له وأعز الإسلام بعمر بن الخطاب - الفاروق - بين مرحلتين الإسرار بالدعوة والجهر بها وفي عصرنا الحديث انتقل الكثيرون من معسكر الجاهلية إلى معسكر الإسلام، تضمن الكتاب ثلاثة منهم: الأستاذ عادل حسين والدكتور عبد الوهاب المسيري والدكتور محمد عمارة ونضيف إليهم إذا يسر الله لنا في طبعة تالية المستشار الجليل طارق البشري.

وعن أَبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تَجِدُونَ النَّاسَ مَعادِنَ: خِيَارُهُم في الجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ في الإسْلاَمِ إِذَا فَقُهُوا، وتَجِدُونَ خِيَارَ النَّاسِ في هَذَا الشَّأنِ أَشَدَّهُمْ لَهُ كَرَاهِيَةً، وَتَجِدُونَ شَرَّ النَّاسِ ذَا الوَجْهَينِ، الَّذِي يَأتِي هؤُلاءِ بِوَجْهٍ، وَهَؤُلاءِ بِوَجْهٍ». متفق عَلَيْهِ. ولمعادن هي الأصول.

قوله: «وتجدون خيار الناس في هذا الشأن»، أي: الخلافة والإمارة. أشدهم كراهية له. كما في حديث عبد الرحمن بن سمرة: «وإنك إن أُعطيتها عن غير مسألة أُعنت عليها».

*****

التأصيل المعرفي وتحرير المصطلح

كان المسيري رحمه الله مصنعًا للفكر والتأصيل المعرفي، والمصانع الفكرية في بلادنا -بكل أسف- قليلة؛ لأننا لا نقدِّرها ولا نمهِّد لها السبل، والإنتاج عندنا فيها محدود؛ فالموجود من مصانع الفكر وُجد بجهودٍ ذاتيةٍ وبإرادةٍ وإصرارٍ على النجاح والانتصار لهوية أمتنا العربية الإسلامية

تعلمت منه كيف تكون بداية أية قضية بتحرير المصطلح.

تعلمت منه كيف يكون تأصيل الهوية في مظهرنا ومسلكنا، كنت أتعجب من قميصه الذي صممه لنفسه بدون ياقات وصدر مفتوح نسبيا مع مسحة من زخرفة إسلامية فيقول هذا هو المناسب لنا في أجواءنا الحارة

لم يمت المسيري؛ لأنَّ ما تركه من فكر وعلم وتلاميذ سيحملون إرثه الحقيقي وسيكملون مسيرته المعطاءة في شتى الميادين.

رحم الله عبد الوهاب المسيري صاحب الروح المرحة والنكتة الحلوة والذي كان يثري أي مجلسٍ يكون فيه، ويبث فيه بجانب أفكاره وثمار عقله روحًا مرحةً وحديثًا طليًّا.

٢ - استقبال الدكتور عبد الوهاب المسيري بمطار القاهرة يوم ١٨ يونيو ٢٠٠٧ بعد عودته من رحلة العلاج

بقلم دكتور مجدي قرقر

ما كل هذا الحب الذي تكنه الجماهير للأستاذ الدكتور عبد الوهاب المسيري

بعد رحلة علاج طويلة في الخارج كان استقبال أعضاء حركة كفاية وجماهير المصريين في مطار القاهرة للدكتور عبد الوهاب المسيري مساء ١٨ يونيو ٢٠٠٧، وكان الزملاء قد كلفوني بأن أكون في استقباله بسيارتي المتواضعة.

فوجئت ومن معي بالسيارة بأن المطار قد تحول إلى ثكنة عسكرية في طرقه وصالات استقباله، وفور وصوله تعالت الهتافات من أعضاء كفاية ومن جماهير المصريين الموجودين في صالة الاستقبال وكان استقبال الدكتور المسيري وعناق الحضور له وسلامهم عليه مبهرا في مشهد فاجئ الجميع وفي مقدمتهم ضباط الشرطة، والذين حاولوا جاهدين إفساح الطريق للسيارة وإنهاء المشهد بسرعة قدر استطاعتهم.

*****

قبل سفره مباشرة لرحلة العلاج طلب مني الدكتور المسيري المنسق العام لحركة كفاية بإصدار البيان المرفق على لسانه بصفتي كمنسق عام مساعد لحركة كفاية

*****

بسم الله الرحمن الرحيم

بيان صحفي

في هذه اللحظات الحرجة التي أمر بها لا أملك إلا أن أسجد لله شاكرا مستغفرا أن أحاطني بكل هذا الحب من جماهير أمتنا العربية والإسلامية – من داخلها وخارجها - والتي عبرت عن قلقها لما مر بي من ظروف صحية والتي أبدت أيضا كامل استعدادها للوفاء بكافة تكاليف العلاج .. في هذا اللحظات لا يسعني إلا أن أعبر عن عظيم امتناني وتقديري وسعادتي بكل هذا الحب وأدعو الله أن أكون عند حسن ظنهم بي .

وأنا في طريقي لرحلة العلاج أود أن أطمئن جماهير الأمة بأن سمو الأمير سلطان بن عبد العزيز ولي العهد ووزير دفاع المملكة العربية السعودية قد تكرم مشكورا بالوفاء بكافة تكاليف العلاج ورغم هذا فأنا مازلت بحاجة لجماهير أمتنا بألا تنساني بالدعاء برفع أكف الضراعة لله سبحانه أن يتغمدني برحمته

عبد الوهاب المسيري



جابر قميحة الأديب السياسي الساخر

دكتور / مجدي قرقر

لله ما أخذ ولله ما أعطى، إنا لله وإنا إليه راجعون، تغمد الله أستاذنا الكبير الدكتور جابر قميحة برحمته وتقبله قبولا حسنا.

خسر الأدب والشعر أديبا شاعرا ساخرا كبيرا. عرفته في صفحة الأدب والفكر بجريدة الشعب قبل أن ألقاه في منتصف التسعينات، عشرون عاما أو أقل قليلا وهو هو كما عرفته لم يتغير، لم يتبدل، معارضا شرسا، كلماته موجعة أكثر من السوط، سخريته مريرة أمر من الحنظل، مدافعا عن الإسلام، محبا لوطنه. ركز الكثيرون عليه كناقد وأديب، ولكن القليلين الذين تنبهوا له كسياسي والأقل من قرأه كأحد رموز ورواد السخرية.

لن يتسع المقال للرثاء ولكن أذكر موقفا واحدا وكفى إلى أن أعاود الكتابة عنه. مع نهايات ٢٠٠٩ م وبدايات ٢٠١٠ م مرضت مرضا ألزمني المستشفى عدة شهور حتى أنجاني الله بمعجزة، وزارني الكثيرون، لكن الزيارة الأكثر أهمية كانت إحدى زياراته وزوجته الكريمة "أم ياسر"، دخل الحجرة وبها زائر أو اثنين حاملا هداياه التي عودني عليها من دواوينه وكتبه ومسرحياته، وغادرها وبها ما لا يقل عن العشرين زائر، ساعة من الزمان أو أكثر قضاها في حديثه العذب ومن يدخل لا يخرج، وكيف يخرج وقد تسيد الدكتور جابر المشهد بين ذكريات وأدب وشعر ولغة ودين، بين تحليل سياسي وتقليد للساسة وفي المقدمة منهم السادات ونائبه المخلوع، وعلى قدر نقمة الزائرين على الرئيس المخلوع - قبل خلعه - كانت الضحكات تتعالى ولا يقطعها سوى بيت شعر أو طرفة أو دعابة. ويوم أن من الله علي بالشفاء خرجت من المستشفى مستندا على مشاية متوجها مباشرة إلى نقابة الصحفيين لأشارك في احتفالية تكريم الأستاذ الدكتور جابر قميحة والتي نظمها المركز العربي للإعلام مساء الثلاثاء ١٣ إبريل ٢٠١٠

لم أكتف بذلك بل وددت أن أقدم مداخلة بعنوان " جابر قميحة الأديب السياسي الساخر " ولما لم يسمح الوقت أعددت دراسة بنفس العنوان في الكتاب الذي صدر عن الاحتفالية والتي أقدم ملخصا لها في حدود مساحة المقال.

*****

١ - النكتة.. أدب وفن وإبداع

عادة ما يعرف الأستاذ الدكتور جابر قميحة بالشاعر والناقد والأديب الكبير ولكن قليلا ما يعرف بالأديب السياسي الساخر، ومن هنا كان اختياري لموضوع هذه الدراسة.

في دراسة له بعنوان "النكتة.. أدب وفن وإبداع" يشير الدكتور جابر قميحة إلى أن الضحك نوعان: ضحك تعبيري، وضحك تعويضي، والأول مصدره شعور الإنسان بالفرح والسعادة، أما النوع الثاني فسببه تلاحق الشدائد والمصائب على الإنسان حتى يفقد إحساسه بها، وأمام حالة "اللامبالاة" هذه يلجأ المرزوء إلى ملء منطقة السعادة المفقودة في شعوره بالضحك الذي يأخذ صورة السخرية من ظالميه وأعدائه.. يسخر منهم ويضحك، ويُضحِك الآخرين عليهم؛ منتقمًا منهم بلسانه بعد أن عجز عن الثأر منهم بيده، ويجد أن أَمْضَى سلاحٍ في هذا المقام هو "النكتة". وهكذا جابر قميحة يشهر قلمه المسنون سيفا مسلولا في وجهِ الطغاة والمستبدين والفاسدين ساخرا منهم فـ "شر البلية ما يضحك"، وأكثر سخرية الدكتور جابر في مصر وممن يحكم مصر فكم ذا بمصر من المضحكات ولكنه ضحك كالبكا.

وتأكيدا لهذا المعنى يضيف الدكتور جابر "وهناك كلمة تشبه كلمة التنكيت في المعنى هي كلمة التبكيت، وهي كما جاء في لسان العرب الضرب بالعصا والسيف واليد ونحوها، وهو أيضًا: التقريع والتوبيخ". ونظن أن هذا الربط الذكي بين التنكيت والتبكيت هو ما ذهب إليه رائد الأدب السياسي الساخر في مصر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر "عبد الله النديم" في جريدته التي حملت نفس الاسم "التنكيت والتبكيت" والتي كانت تهاجم المستعمرين والفاسدين بسخريةٍ وتهكم.كما يشير الدكتور جابر.

****

٢ - جذور وراوفد وضوابط السخرية عند جابر قميحة

والسخرية عند الأستاذ الدكتور / جابر قميحه لها جذور وروافد وضوابط. فإذا تطرقنا إلى الجذور فإن الدكتور جابر قد حصل على ليسانس دار العلوم ودبلوم الشريعة الإسلامية وماجستير ودكتوراه "الأدب العربي الحديث" فمن الطبيعي أن تمتد جذور السخرية عنده وتتعمق في بطون تراثنا الأدبي العربي والإسلامي، فإذا رجعنا إلى مراجعه وهوامشه نجد "الفاشوش في حكم قراقوش: تأليف ابن مماتي" ونجد الشاعر أبا نصر "كشاجم" ،ابن الرومي، أحمد شوقي والدكتور محجوب ثابت، ثم هو يستشهد بالساخرين والظرفاء من أمثال: عبد العزيز البشري، والمازني، وفكري أباظة، وحسين شفيق المصري، وبيرم التونسي، ومحمد مصطفى حمام، وعبد السلام وكامل الشناوي وغيرهم. كل هذا يوضح بجلاء أن السخرية عند جابر قميحة تغوص في أعماق أدبنا العربي والإسلامي .

وإذا كان الأدب العربي والإسلامي يشكل جذور السخرية عند جابر قميحة فإن التراث الشعبي يشكل الرافد الذي يروي جذور السخرية عنده ويمدها بالغذاء ليضمن لها الحياة ويصفه بالعطاء الشعبي الضاحك فالدكتور جابر ولد في المنزلة في شمال دلتا النيل وهي مدينة أقرب إلى الريف وتصب عندها السخرية الشعبية المصرية كما تصب مياه النيل التي تغذى وشرب منها جابر قميحة.

يتحدث دكتور جابر عن "القفشة"، وهي تعني عنده جملةً أو جملاً قصيرة سريعة خالية من الدرامية، ولكنها تعتمد على ما يمكن أن نسميه "اللعب اللغوية" التي تُثير الضحك، أو الابتسام.ويستشهد ببعض النماذج نشير إلى بعض منها:

- سأل أحدهم العطار، عندك شَبَّة؟ فأجاب: لا والله دا اتجوِّزتْ إمبارح.
- واحد ضرب الرقم القياسي في الجري.. الرقم القياسي رفَع عليه قضية.
- مرة أستاذ قال لطلابه: يعيش القرد في جنوب آسيا، فهتف الطلاب: يعيش يعيش يعيش.
- واحد زرع وردة طلعت له أم كلثوم
- مرة واحد راح يوكِّل محامي لقاه صايم.
- واحد رمى يمين الطلاق على مراته ماجاش فيها.
- واحد باع اللي وراه واللي قدامه واشترى اللي جنبه.
- واحد عداه العيب أخذ اللي بعده.
- مدرس رياضيات خلَّف ولدين واستنتج الثالث.
- دكتور أسنان اشترى عود قصب لقاه مسوس حشاه.

ثم يتحدث عن فن القافية الذي يعتمد على كلمة "إشمعنى"، ويشير إلى أشهر من قدَّم هذا النوع الثنائي "سلطان والفار"، في برنامج (ساعة لقلبك) في الإذاعة المصرية – والذي ذاع صيته في فترة شباب جابر قميحة - وكان الفار نحيفًا قصيرًا، بينما كان سلطان ضخمًا طويلاً. ويستشهد دكتور جابر ببعض قافيتهم المختزنة عنده ليروي بها جذوره الساخرة يسخرون فيها من التناقض الشكلي بينهما رغم أنه برنامج إذاعي لا ينقل الصورة حيث لم يكن التلفاز قد عرف بعد في مصر:

– ***يغطوك في الشتاء يا فار***

- *إشمعنى؟*
- *بكرافتة.*
- *اللي يشوفوك ماشي معايا يا فار.*
- *إشمعنى؟*
- *يحسبوا أنك واقع مني.*
- *يأكّلوك يا سلطان.*
- *إشمعنى؟*
- *بسلطانية.*
- *وأنت يأكلوك يا فار.*
- *إشمعنى؟*
- *بملقاط.*

ولأن الروافد المغذية للسخرية عند جابر قميحة لا تنفصل عن جذوره العربية الإسلامية يسارع بإعادة كلمة "إشمعنى" إلى جذورها العربية فيشير إلى أن صحة كتابتها: إيش معنى؟ أي ما المعنى الذي تقصده.؟ وهذا ما يُسمَّى في اللغة العربية "النحت" وتفصيلها أي شيء تقصد.

والسخرية عنده سخرية هادفة وملتزمة ويشكل هذا ضابط السخرية عند جابر قميحة فهي لا تخرج عن آداب الإسلام فضلا عن التزامها بالابتعاد عما نهى عنه. لابد وأن تكون السخرية منضبطة فهو من كتب "صوت الإسلام في شعر حافظ إبراهيم – في صحبة المصطفى – المدخل إلى القيم الإسلامية – أسماء الله الحسنى – ذكرياتي مع دعوة الإخوان في المنزلة دقهلية.

*****

٣ - الأدب المسرحي الساخر عند جابر قميحة

ويظهر تأثير مدرسة الإخوان المسلمين في أدب جابر قميحة في أن السخرية عنده سخرية هادفة فهو يستهدف إصلاح الدنيا بالدين حيث يقوم الأدب عنده بعملية إسقاط سياسية في نقد النظم المستبدة، ومن أعماله المسرحية الساخرة (محكمة الهزل العليا - السيف والأدب – موت منكوس المهرج).

ونشير هنا إلى نموذج ساخر من مسرحه الشعري "حدَثَ في جمهوريةِ ظلمِسْتَان "والتي ضمنها خمسة عناوين (أزهى عصر للحرية – أقسم أني فأر لا إنسان – رحلة صيد للسلطان من أبوك – وفاز ولي العهد بالجواد)

حيث يبدأ بتعريف أشخاص مسرحيته القصيرة وديكورها:

(١) أزهَى عصرٍ للحريةْ

اسم الدولة: ظلمُستانْ - حاكمها الأعلى: بهمان - هو الدستورُ، هو القانونُ، هو السلطانْ،
وشعار الدولة: مشنقةٌ ، تتدلى من خلف القضبانْ، وسجونٍ سودِ الجدرانْ
(في حفلٍ فخمٍ ضخمٍ ضم ألوفًا وألوفًا بمناسبة الذكرى.. ذكرى ميلادِ السلطانْ.. انطلقَ السلطان خطيبًا)
يا شعبي الغالي إنكمُو، سعداءُ بعهدِ الحريةْ، عهدي الميمونِ المبرورْ، أزْهَى أعيادِ الحريةْ
(صاح مواطنْ): يا سلطانْ..خبِّرنا أينَ الحريه؟!!
(لم يلتفت السلطان لهذا المعترض السائلْ.. السلطان يواصل خطبته غيرَ العصماءْ):
مِنْ حق الفرد بدولتِنا ظلمستانْ.. ينطق.. يكتب.. ينقد مَن شاءَ، وما شاءْ.. وسواءٌ عندي العِليةُ والبُسَطاءْ
(وهنا هب مواطنٌ يصرخ في غضبٍ مسعورْ): يا سلطانْ، هل تسمحُ لي بسؤالٍ واحدْ؟

(ظهر الغضبُ الوحشي على وجهِ السلطانْ): هِيهْ.. هل تسألُ أيضًا: أينَ الحرية؟!
لا.. بل أسألُ: أين الرجلُ السائلُ قبلي من لحظاتٍ: أينَ الحريةْ؟؟!!

ويواصل الدكتور جابر مسرحيته ويعنون "٢- أقسم أني فأر لا إنسان" مشيرا إلى ما يحدث من ظلم في سلطنة ظلمستان والخوف القاتل الذي يعيشه شعبها والقبض على أعضاء "التنظيم المحظور" بيد الجبارون الأمنيون رجال "السلطان بهمان"

ويعنون "رحلة صيد للسلطان" يترجم فيها لنكتة شعبية سياسية عن فقيه السلطان إذ يخرج السلطان لصيد بري فيصيب طائرين ويخطأ الثالث فيواصل طيرانه فإذ بفقيه السلطان صاحب المنصب الديني الكبير الذي يزيف الواقع ويلوي الفتوى فيقول:

ما شاء الله يا سلطان!!!
أصبت الطائر في مقتل
لكني أشهد معجزة:
بركاتك حلت في الطائر
منحته الطاقة والقدرة
فانطلق وهو المقتول
ليواصل رحلته بأمان
ما شاء الله يا سلطان!!!

إنها نكتة شعبية مصرية غارقة في محليتها صورها جابر قميحة شعرا في أجمل صورة للنفاق السياسي. ثم يعنون " ٥- وفاز ولي العهد بالجواد" في إشارة لا تخلو من إسقاط على واقعنا السياسي المصري المعاش منذ ظهرت محاولات توريث الحكم في منتصف هذا العقد الأول من ألفية الميلاد الثالثة لولي العهدِ " هبَّارْيارْ " فتى الفتيانِ ابن السلطانْ .. والذي يحبُّ الثروة والتجَّارْ.. أغنى التجارْ.. أصحابَ المالِ.. الأرض.. السلطَة.. والمعمار. ويواصل جابر قميحة التبكيت والسخرية اللاذعة التي توجع أكثر من السياط في حوار السلطان مع ولي عهده الأبَّهة المختار:

(٥) وفاز ولي العهد بالجواد
- يا ولدي هباريارْ
أنت وليُّ العهدِ
وإنك تعلمُ أني عشتُ نظيف اليدْ
نظيفَ القلبْ
أرفض أي هدية
رخُصت.. كانتْ
أو كانت دُرًّا ونُضارْ
عجبًا.. يا ولدي!!!
رجلٌ يُهديكَ جوادًا
لو بيع لكانَ بثمن
مائةِ ألفٍ
بالديناراتِ البَهمانية؟؟!!

(في غضب مسعور كالنار)

انطلق السلطان بموكبه
وبصحبته هباريار
متجهيْن إلى شهبندر تجار الخيل... مخيوليارْ
ارتجف الرجل من الخوف
وكاد من الرجفة ينهار).
- هل أحلم؟!
يأتيني تاجُ الوطن وسلطانُ الدنيا

 وولي العهد الأعظم هباريار؟!!
- اسمع يا هذا
إنا بيتٌ لا نقبل شيئًا بالمجانْ
وابني هباريار
أعطيتَ جوادًا أشهبْ..
ولقد جئتُ أسدد ثمنهْ
- يا مولاى.. هل تأذن لي
لأقول الحق بلا كذِبٍ؟؟
في الأسبوع الماضي
استوردتُ من المهرستان
ألفَ جواد بالثمن الفوري
وعليها عشرةْ
كهدايا بالمجانْ..
لم أدفع فيها دينارًا
- حتى لو صدقتك... أسأل:
كم كلفك شحنُ الخيل؟؟
- كلفني شحنُ الواحدِ
بالدينار البهماني.. عشرةْ
- الحق يقولْ.. والعدلُ يقولْ: ندفعُ أجرَ الشحْنْ
(السلطان... يخرج ورقةً من ذات المائة..
ويقدمها لمخيوليار).
- يا سيدَنا الغالي.. يا سلطانْ
قلت بصدق: كلفني شحن الواحد
بالدينار البهماني.. عشرة
لا زيادة.. لا نقصانْ
فلماذا تمنحني مائة دينار؟!
- خذ منها عشرة
وترد الباقي... تسعين
- يا سيدنا الغالي.. يا سلطان
أنا لا أحمل نقدًا سائلْ
.. كيف أرد لجلالتكم باقي المائة؟!!
- لا ضيرَ إذنْ.. لا ضير إذنْ
الحق يقول... والعدل يقول:
نأخذ بالباقي من خيلك تِسْعةْ.

ماذا فعل جابر قميحة في المشاهد السابقة وفي مقطع المسرحية السابق تحديدا؟ .. إنه قد أخذ النكتة من لسان الشعب المصري وصاغها شعرا مسرحيا .. قد تذهب النكتة وتنسى بزوال شخوصها ولكن يبقى أدب جابر قميحة يبكت ويعنف ويسخر من كل بهمان و هباريار.. أخذ النكتة من لسان الشعب المصري وصاغها شعرا.. "صاحب أجانس السيارات" تحول إلى "شهبندر تجار الخيل" والسيارة "المرسيدس" تحولت إلى جواد أشهب والجنيه المصري تحول إلى دينار "بهماني" في إشارة واضحة إلى أن كل من وما في الوطن ينسب إلى الحاكم إنه الحاكم الذي يعرف أن "الكفن ليس له جيوب".. ما هذه السلاسة وما هذا الإبداع إنه يتحدث شعرا ولا يبذل أي جهد في نظمه فهو يتنفس شعرا ويفكر شعرا ويتحدث شعرا ويكتب شعرا إنه جابر قميحة الأديب السياسي الشاعر الساخر الفنان.

*****

الشعر الساخر عند جابر قميحة

ولا تفارق السخرية جابر قميحة فبعد انتهاء وليمة أقامها الأستاذ الدكتور حسين رئيس الجامعة الإسلامية بإسلام أباد لإخوانه من الأساتذة كتب الدكتور جابر عن "الملحمة الخروفية" مضمنا أسماء أساتذة الجامعة ممن حضروا الوليمة ملحمته الخروفية[٣٣].. ثم يكتب بالعامية في إحدى نوادره بعيدا عن الفصحى بعنوان "اللحمة وأنا"[٣٤] وكيف استجاب لرغبة الزوجة وتجرأ بالذهاب لشراء كيلو لحمة فقط من الجزار المجاور "عبده الفار" وعندما اعترض على السعر المطلوب والمخالف للمكتوب كان نصيبه "روسية في دماغه"

والمثل ما كدبش

ياميت ندامة على اللي حب ولا طالشي
لكن ندامة الندامة على اللي جاع ولا كالشي
وألف مليون ندامة عليه لما اتمنى ولا خدشي

وبعد "العلقة والروسية" والمستشفى تعدل الزوجة أقوالها

قالت قطيعة تقطع اللحمة
واللي بياكلوها
دي اللحم قالو تجيب "الكرستون"
والدبحة والأزمة
قلت لها: والعدس؟
قالت لي: كله فوايد
قلت: هيه ... والبصارة؟
قالت لي: آه .. كلها فيتامين

وما أن يقرأ جابر قميحة خبرا أو يعايش حدثا حتى يجري قلمه شعرا وسخرية فلقد تعرض الدكتور مصطفى الفقي رئيس لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشعب وآخرين لسرقة أحذيتهم بعد صلاة الجمعة بأحد مساجد دمنهور والتي حضرها معه بعض القيادات السياسية والدينية فنظم الدكتور جابر قصيدة على لسان صاحب الحذاء المفقود بدأها وختمها كما يلي:

"مصطفى الفقي يرثي حذاءه المسروق"

سرقوك يا أرقى حذاء   لأعيش بعدك في شقاء
أبكيك يا أغلى الحبا   يب بالدموع بل الدماء
وتكاد نفسي تفتديـ   ـك فأنت أهل للفداء

....

سأعيش في ذكراه من   باب المحبة والوفاء
وأعيش أرثيني فإنـ   ـني منه أولى بالرثاء

ويهدي قصيدة "الهابطون والصاعدون" (إلى السادة الكبار ..الهابطين الساقطين.. الذين هانوا ..واستسلموا.. وباعوا.. وسلموا.. فما ربحت تجارتهم.. وما كانوا مهتدين، وإلى الأبطال الصامدين الصاعدين الذين باعوا أنفسهم لله في فلسطين وجنوب لبنان)[٣٥] إنها المقابلة التي تثير السخرية والتبكيت والإحساس بجهاد الصامدين.. كل هذا في آن واحد.

ونلمس السخرية في عناوين أعمال الدكتور جابر قميحة معلنة عن مضمونها الساخر (زيارة فوق العادة للخيول العربية – ملحمة الخفافيش والعميان – وقال الحاظر المفتري للمحظور المظلوم – النمرة غلط – درس خاص في الجغرافيا – في سوق العجائب العربية – أبانا الجزار الملك – المنسف الغالي في البيت العالي – الضرير والكنز – موتوا بغيظكم – البطل

---

[٣٣] د. جابر قميحة - المرجع السابق – صفحة ١١١٣- ١١١٥

[٣٤] د. جابر قميحة - المرجع السابق – صفحة ١١١٦- ١١٢١

[٣٥] مجموعة الأعمال الشعرية والمسرحية الكاملة للدكتور جابر قميحة – مركز الإعلام العربي – الطبعة الأولى ٢٠١٠- "الهابطون والصاعدون" – الجزء الأول – صفحة ٤١٥- ٤٢١

الزائف – سيد قراره – الراقصة فوق القانون – وسقط سلطان السلاطين – يا أمة ضحكت – وختامه حذاء – إعلان مدفوع الأجر.. أوكازيون الدم الفلسطيني – المقامة الخروفية – المقامة الزبيبية)[٣٦]

*****

٤ - المقال الساخر عند جابر قميحة

والسخرية عند الأستاذ الدكتور جابر قميحة ليست في المسرح أو الشعر فقط بل في المقال أيضا.. ولنعرض هنا لعناوين بعض المقالات ومضامينها: "حوار أدبي مع رأس كبير جدًّا[٣٧]" يسخر فيه من مدعي الثقافة من الرؤوس الكبيرة التي تهيمن على الساحة الثقافية.. ويختتم حواره مع الرأس الكبير بقوله (وغادرت قصر الرأس الكبير جدًّا، وأنا أحمد الله سبحانه وتعالى إذ مكنني من الظفر بأغرب تحقيق مع هذا الرأس الكبير، جدًّا، جدًّا، مع ملاحظة أنني سجلت حرفيًّا كل ما نطق به، وكله بالعامية. ورحم الله عمنا سيبويه).

ونعرض لمقال آخر "الحزب المنفوش وشعاراته المضروبة"[٣٨] يكتب فيه : وما يسمونه شعارات تأتي في ترتيبها الزمني على النسق الأتي (فكر جديد - العبور الأول - العبور الثاني - مصر بتتقدم بينا - وأخيرا : من أجلك أنت) . وكتبنا عن الشعار الرابع" :.. والناس جميعا يسألون : من ذلك العبقري الذي وضع شعار " مصر بتتقدم بينا " (!!!!!) ؟ وهل ضاقت اللغة العربية عن وضع " بنا " بدلا من "بينا" . ثم إن هذا الشعار حكم على نفسه ، أو حكم عليه واضعه بالمحلية الضيقة ، وهي لهجة القاهرة وشمال الدلتا ؛ لأن الصعايدة لا يستعملون كلمة "بينا " هذه . " وأعتذر للقارئ ؛ لأنني استعملت كلمة " بيكم " بدلا من كلمة " بكم " ، وما ذلك إلا مسايرة لجو العامية العشوائية غير الفصحى للشعار المضروب " مصر بتتقدم بينا " ويختتم دكتور جابر مقاله بقوله " وكيف نسي أو تناسى نشامى الحزب الوطني الكوارث التي وقعت في مصر .. بل: مصرُ بتِتْأخر بيكُمْ"

وفي مقال آخر بعنوان "خبْط ... لزْق" يعرض دكتور جابر قميحة لأربعة عناوين فرعية (انتخابيات – كويزيات - ماسورة مدينة نصر)[٣٩] ويستخدم النكتة كعادته في التكيت والتبكيت:

- **واحد من الحزب إياه رشح نفسه ما نزلشي منه حاجة.**
- **عضو في المجلس عن الحزب إياه طعن نواب المعارضة في عضويته بأنه أمي لا يعرف القراءة والكتابة.. شكلت له لجنة امتحان، طلع ترتيبه الأخير.**
- **في الاختبار الشفوي سأل المدرس تلميذه: قل لي يا حصاوي: حصانة يعني إيه؟ فأجابه: حصانة طبعا مؤنث حصان.**
- **ذهب إلي اللجنة للإدلاء بصوته، فرأي التزوير عيني عينك فصرخ: يا ناس حرام عليكم.. والله حرام...وغادر اللجنة... ولكن.. في «صندوق».**

وفي نفس المقال وتحت عنوان فرعي " كويزيات " يكتب الدكتور جابر:

---

[٣٦] المرجع السابق – الجزء الثالث - المحتويات

[٣٧] **د. جابر قميحة -** موقع إخوان أون لاين –
http://www.ikhwanonline.com/Article.asp?ArtID=50383&SecID=440

[٣٨] د. جابر قميحة - موقع إخوان أون لاين - ملفات خاصة - كوارث وفساد الوطني.- . ٣١ أكتوبر ٢٠٠٩

[٣٩] د. جابر قميحة – رابطة أدباء الشام – "خبط لزق" – أغسطس ٢٠٠٩ -
http://www.odabasham.net/show.php?sid=28457

قضي الأمر وعقدت ووقعت ووفقت اتفاقية الكويز وأنوف شعبنا في الرغام وصورت على أنها الإنقاذ السماوي» للاقتصاد المصري، وللمصانع المصرية، وبها يقضي علي البطالة، وبها سيأكل شعبنا بغاشة وجاتوه وكل اللي يحبوه، ويغني الجميع اسح الدح امبو».

ومن عجب أنها لم تعرض علي مجلس الشعب لأنها -كما قال العباقرة بتوعنا- «بروتوكول» لا اتفاقية..

* قطع الزوج النفقة عن زوجته المطلقة فسأله القاضي: لماذا قطعت النفقة التي اتفقت «مع زوجتك علي دفعها شهريًا»؟ فأجابه: يا بيه هذه مسألة لا تناقش لأنها لم تكن «اتفاقًا» ولكن «بروتوكول».

* طالب عضو بارز في الحزب «إياه» بنشر وترسيخ «الثقافة الكويزية» باتخاذ الخطوات الآتية:

١- إطلاق اسم «الكويز» علي الشركات الكبري وغيرها كما كان الحال في كلمة «نصر». ومن الأمثلة المقترحة: مدينة الكويز للشباب - شركة الكويز لإنتاج الهواء المعلّب - شركة الكويز لإنتاج صناديق الانتخابات السحرية... إلخ.

٢- جعل «الكويز» مادة دراسية في المراحل التعليمية الثلاث.

٣- إنشاء مجمع للغة الكويزية لمواجهة الرجعيين والظلاميين من دعاة اللغة العربية وأنصارها. وتكون الخطوة الأولي التي يتخذها هذا المجمع استبدال حرف «الزاي» بحرف «السين» وحرف الكاف بحرف الجيم ومن الأمثلة الشارحة:

- مصلحة الكوازات والهكرة (بدل الجوازات والهجرة).
- لجنة الزيازات بالحزب الوطن، مجلز الشعب، الممثل زمير صبري، النهوض بالزينما والمزرح.
- رئيز الَوزراء، ووزير الخاركية، كلية الزيازة والاقتصاد... إلخ.

(أشّر رئيز المكِلز علي هذه الاقتراحات بالعبارة الآتية):
اقتراحات زليمة وواعية وكويّزة جدًا.
توقيع: زيِّد قراره المرحرح

وفي نفس المقال وتحت عنوان فرعي "ماسورة مدينة نصر" يكتب الدكتور جابر:

الأمر لله.. انفجرت الماسورة الأم التي تغذي مدينة نصر بالمياه العذبة وعاش عشرات الألوف من المواطنين في هم وغم و«جفاف».. وأصبحت السيادة «للجرادل» والجراكن والحلل، ورأينا شيوخا ومرضي يحملون «الفوارغ» ليملأوها بالماء من أماكن بعيدة... والناس يضحون.. ويسمعون كلمات «التصبير» وموت يا عطشان لما تجيلك المية ولو من تحت تبن.. والمسألة تنتهي كالعادة بالعبارة المشهورة: معلهش النوبة دي.. علشان خاطري.

ثم يضيف بعض التعليقات

* يقال إن هذه الماسورة لم يعجبها النظام الحالي، فتميزت غيظا، وقامت بعملية انتحارية.
* وقال آخرون إنها كانت عضوا في تنظيم القاعدة ففجرت نفسها «بالأمر».
* جلس أحدهم في أحد مقاهي مدينة نصر ونادي: يا رسونا ديني واحد «مية بيضا» وصلحه.
* بين مسطولين دار الحوار الآتي:
- هي الماسورة الأم دي متجوزة بقالها كام سنة؟
- معرفش.. متيجي نسأل في السجل المدني.

.* حتي لا تهيج مشاعر الناس صدرت قرارات أمنية أهمها:

- مصادرة كل أشرطة الكاسيت المسجل عليها الأغاني الآتية: المية والهوا ل«ليلي مراد»- المية تروي العطشان، والنهر الخالد ل«عبد الوهاب»- السح الدح امبو ل«أحمد عدوية»- وأغنية «الطشت قاللي...» للمطربة «عايدة الشاعر»- «أغنية «بين شطين ومية...» للمطرب «محمد قنديل» .

- منع الجزارين من بيع «المواسير».
.* بعد انفجار الماسورة وتأخر إصلاحها قامت مظاهرة في مدينة نصر تهتف: عطشانين.. عاوزين مية. فخطب فيهم مسئول كبير: ما هذا الغباء؟! متشربوا مياه غازية أو شربات!!
.* اقترح بعضهم أن يكون شعار مدينة نصر «القربة والجردل» وهنا تسوية بين الجنسين. لا يغضب الجنس اللطيف.
.* اقترح مسئول كبير في وزارة الثقافة أن تقام مقبرة لبقايا الماسورة المنفجرة عليها نصب تذكاري مكتوب عليه «هنا يرقد رفات الشهيدة الغالية ماسورة مياه مدينة نصر. انفجرت في عهد الدكتور «نظيف» العظيم وفي ظل «قانون الطوارئ».

*****

٥ - جابر قميحة الودود الإنسان

وإذا كان الأستاذ الدكتور جابر قميحة يستخدم السخرية تبكيتا للطواغيت من المستبدين والمفسدين والظالمين فإنه يستخدم النكتة والسخرية مع أصدقائه ومريديه وأختم الدراسة بتحية أخيرة تبادلتها معه عبر الهاتف في مكالمة أخيرة معه

* سلام الله عليكم أستاذنا الدكتور جابر
- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.. حياك الله وبياك.. وجعلك من كبار الملاك.. وأهلك عداك.. ونحن دائما وياك
* وإحنا اخترناك وبايعناك ومشينا وراك
- طب هات بقى القرشين اللي معاك

بهذه الروح المرحة يلقى الأستاذ الدكتور جابر قميحة أصدقائه ومريديه.. جابر قميحة الشاعر والناقد والأديب السياسي الساخر .. إنه نبت هذه الأرض .. مصر المرزوءة بالمحن ولكنها أبدا بسخريتها اللاذعة أكبر من المحن وأكبر من جلاديها.. هذه هي مصر وهذا هو جابر قميحة يشهر قلمه المسنون سيفا مسلولا في وجه الطغاة والمستبدين والفاسدين ساخرا منهم فـ "شر البلية ما يضحك" وأكثر سخرية الدكتور جابر في مصر وممن يحكم مصر فـ "كم ذا بمصر من المضحكات ولكنه ضحك كالبكا".. متع الله أستاذنا وأهله بالصحة والعافية وجعل سائر عمله خالصا لوجه الله وفي ميزان حسناته